مأساة إبليس عند صادق جلال العظم

(رؤية نقدية)

إعداد

د/ أحمد حلمي سعيد قطب

أ.م/ في قسم الأديان والمذاهب

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة – بجامعة الأزهر بالقاهرة

Ahmedkotb١٣٣@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يعالج البحث فكرة ما أسماه د/ صادق جلال العظم (مأساة إبليس) من خلال استعراض رؤيته لهذا الموضوع, ونقدها, وقد تبين من خلال ذلك أن د/ العظم لا ينطلق من منطلق إيماني, بل من منطلق ماركسي لا ديني, لذلك تناول قصة إبليس كأسطورة لا حقيقة ثابتة, وذلك مبني على طريقة المذهب التجريبي في اتخاذ الحس والتجربة سبيلا وحيدا للمعرفة, وهو أساس خاطي؛ يعجز عن تفسير بعض الحقائق التي لا تدرك بالحس, وتبين أنه لم يكن أصيلا في طرحه لقصة إبليس كمأساة أشبه ما تكون بقصص أبطال مأساويين في مسرحيات عالمية, واتخذ من أقوال بعض المتصوفة مبررا لأقواله المتطرفة المعتمدة على فكرة الجبر, وتوج كلامه بتوجيه سهام النقد إلى الذات الإلهية؛ وقد أثبت البحث زيف فرية الجبر, وأن إبليس كان مختارا طائعا لا مجبرا, ونفى ما يعتقده الكاتب من حق إبليس الموحد غاية التوحيد– من وجهة نظره–في عدم السجود لآدم؛ لأفضلية عنصره الناري على عنصر آدم الطيني, وأنه كان مع الملائكة فله فضلهم ومكانتهم سواء أكان منهم أم لم يكن, كما أثبت فساد ما رتبه د/العظم على فكرة الجبر من زعم تناقض الأمر الإلهي والمشيئة الإلهية, وأن إبليس يستحق مصيرا غير الطرد واللعن, وأن الله– حاشاه– اتصف بما لا يليق به من مكر واستهزاء بعباده الأبرياء.

الكلمات المفتاحية: (مأساة – إبليس – العظم – نقد – السجود – آدم)

ABSTRACT

The research deals with the idea of what Dr. Sadeq Jalal Al-Azm called “The Devil’s Tragedy” by reviewing his vision of this subject, and criticizing .It was found through this that Dr. Al-Azm does not start from a belief standpoint, but rather from a Marxist, not religious, standpoint. Therefore, he dealt with the story of Satan as a myth, not a fixed truth. This is based on the method of the empirical doctrine in taking sense and experience as the only way to knowledge. It is a false basis; He is unable to explain some facts that are not perceptible to the senses, and it turns out that he was not genuine in his presentation of the story of Satan as a tragedy similar to the stories of tragic heroes in international plays. He depended in the sayings of some Sufis as a justification for his extremist sayings based on the idea of oppression. The research has proven the falseness of the oppression lie, and that Iblis was freely chosen and

obedient, not forced, and he denied what the writer believes in the right of the monotheistic Satan, from his point of view, not to prostrate to Adam; The superiority of his fiery element over Adam's clay element. And that he was with the angels, he has their merit and status, whether he was one of them or not.H e also proved the error of what Dr. Al-Azm understood, based on the idea of reparation, from the claim that the divine command and the divine will were contradictory, and that Satan deserves a fate other than expulsion and cursing, and that God - God forbid - was characterized by cunning and mockery of his innocent servants. *KEY WORDS;* **Tragedy-Satan-ALazm-criticism-prostration-Adam.**

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أسعد الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, وبعد: فإن مسيرة الخير والشر تترى منذ بداية الخليقة التي أذن الله أن تكون؛ فخلق الملائكة, وهي كائنات نورانية خيرة شأنها أنها لا تعصي لله أمرا ولا ترد له حكما, فهم خير محض, وخلق آدم- عليه السلام- وذريته, وركب فيهم القدرة على الطاعة والمعصية, ففيهم خير وشر, إلا من اصطفاهم الله من أنبيائه ورسله؛ فهم خير محض, وخلق عالم الجن, وهم كائنات نارية, ركب فيها القدرة على الطاعة والمعصبة, وكان إبليس من الجن ففسق عن أمر ربه, فاستحق الطرد -هو ومن سار سيرته من شياطين الإنس والجن- من رحمة الله تعالى, وكان سبب سقوطه هو اعتراضه على أمر الله برفض السجود لآدم – عليه السلام- ورفضه له, وهذه المسألة أثارت عقول بعض المفكرين نحو النظر إلى مدى استحقاق إبليس لهذه العقوبة, ووضع فرضية مفادها: ماذا لو حدثته نفسه بالتوبة هل يقبله الله؟ أم أن هذا الحكم غير قابل للنقض؟, وهل كان إبليس منفذا لمشيئة الله؛ بالمعنى الجبري؟ وهل كان رفضه للسجود لآدم متمشيا مع مقتضى التوحيد؟ وما هي الصفات الإلهية التي تتمشى مع جملة ذلك؟

وهذه الأفكار يطرحها الباحث من خلال مناقشة د/ صادق جلال العظم الذي تحدث عما أسماه: مأساة إبليس في كتابه (نفد الفكر الديني), ولا شك

أن له منطلقات ينطلق منها, ستظهر أثناء البحث, وإن كان عنوان كتابه يوحي بأنه صاحب جرأة في طرحه, وسوف أتناول-بإذن الله تعالى- المسألة محل البحث عارضا لما قدمه د/ العظم من طرح على طاولة النقد, ولا شك أن تناول مثل هذه القضايا وردها إلى الصواب أمر في غاية الأهمية؛ لاشتباكها مع الواقع؛ فكثير من الشباب معرضون للوقوع في فخ الإلحاد لو لم يتحصنوا من الأفكار الهدامة الطاعنة في الدين عامة وفي الإسلام خاصة, وهذا مكمن أهمية الموضوع, وقد اخترت موضوع البحث لشغفي بالرد على شبهات الطاعنين على الإسلام؛ طالبا نصرة الحق بما أستطيع من جهد ولو كان عملا بحثيا مختصرا.

وهذه الفكرة المستهدفة مبثوثة في بطون بعض الكتب مثل كتاب صراع مع الملاحدة, وغيره- مما أحلت إليه في ثنايا الدراسة- ولكن دون توثيق وتمام ضبط يتسق مع إجراءات البحث العلمي, ومن هنا تأتي هذه الدراسة لضبط التناول لهذه المشكلة البحثية وفق المتعارف عليه في دراساتنا الأكاديمية؛ واستيفاء ما لم يتم استيفاؤه بشكل واف كاف, كمناقشة ما ذكره د/ العظم من آيات وأحاديث تطاول بسبب فهمه الخاص لها على الذات الإلهية, ورد ذلك إلى الفهم الصحيح مستعينا بأقوال علماء البلاغة والتفسير, وقد استخدمت المنهج التحليلي الجامع بين الوصف والنقد والتقويم؛ لرد الغلط إلى الصواب, وأسأل الله التوفيق والسداد.

خطة البحث:

يأتي البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة, وتشتمل المقدمة على أهمية الموضوع وسبب اختياره, والمنهج المستخدم وخطة البحث, ثم جاء التمهيد ليشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث (مأساة إبليس– صادق جلال العظم), ثم يأتي المبحث الأول بعنوان: ادعاء العظم أسطورية شخصية إبليس ونقده, وذلك في مطلبين أولهما عرضت فيه الادعاء, وفي ثانيهما عرضت نقد هذه الفكرة, ثم يأتي المبحث الثاني بعنوان: محنة إبليس في فكر د/ العظم ونقدها, في مطلبين أيضا, تناولت في الأول منهما المحنة وفي الثاني نقد الفكرة, ثم يأتي المبحث الثالث بعنوان: تطاول العظم على الذات الإلهية ونقده, في مطلبين أيضا, أولهما بعنوان: تساؤلات العظم وتطاوله على الذات الإلهية, وثانيهما بعنوان: نقد تطاول العظم على الذات الإلهية, ثم أتبعت ذلك بالخاتمة التي اشتملت على النتائج والتوصيات, ثم أتبعت ذلك بقائمة المراجع وفهرس الموضوعات.

التمهيد

أولا: التعريف بمفردات عنوان البحث

- **مأساة إبليس:** ذكر المعجم الوسيط أن المأساة (التراجيدية) هي: (مسرحية عنيفة التأثير بليغة الأسلوب سامية المغزى تقتبس غالبا من التاريخ أو الأساطير وتنتهي بخاتمة محزنة)([1]), وعند استعراض كلام د/ العظم سيتبين مدى اتساق كلامه مع هذا المعنى من عدمه.

- **وأما إبليس:** فمادته من أبلس, قال صاحب القاموس المحيط: (. وأَبْلَسَ : يَئِسَ وتَحَيَّرَ ومنه : إبليسُ وهو أعْجَمِيٌّ)([2]), فهو مبلس بمعنى: يائس من رحمة الله بعد رفضه الأمر الإلهي بالسجود لآدم, وهي مأساة تعرض لها إبليس من وجهة نظر صادق العظم.

- **صادق جلال العظم(١٩٣٤ – ٢٠١٦م):** كاتب ماركسي, وقد نقلت عن أحد المعجبين به ترجمته باختصار, على النحو التالي: انحدر العظم المولود في دمشق عام ١٩٣٤م من عائلة أرستقراطية دمشقية عريقة، ذات جذور عثمانية وفروع تركية.

[1]) المعجم الوسيط, ١ / ١٩, إبراهيم مصطفى وآخرون, مجمع اللغة العربية, بدون تاريخ.
[2]) القاموس المحيط, محمد بن يعقوب الفيروزآبادي, ١/ ٦٨٧, دون بيانات أخرى.

- **مسيرته العلمية والمهنية:** درس الفلسفة بالجامعة الأميركية في بيروت, وتخرّج بتقدير ممتاز في قسم الفلسفة بها سنة ١٩٥٧م، ليحصل بعدها على الدكتوراه من جامعة "ييل" بالولايات المتحدة الأمريكية، في تخصص الفلسفة المعاصرة؛ حيث كانت دراسته عن الفيلسوف الفرنسي (هنري برجسون) ت (١٩٤١م) , ثم عمل أستاذًا بالجامعة الأميركية فى بيروت في الفترة من ١٩٦٣إلى١٩٦٨م، ثم أقالته الجتمعة عام ١٩٦٨م، بسبب كتاباته التي أزعجتهم، وتوقيعه عريضة تطالب بانسحاب الجيش الأمريكى من فيتنام, ثم ذهب بعدها إلى عمّان ودرّس بالجامعة الأردنية، ولكن سرعان ما طرد منهاعائدا إلى بيروت؛ بسبب عمله مع "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين, ثم أصبح سنة ١٩٦٩م رئيسا لتحرير مجلة الدراسات العربية التي تصدر في بيروت, وعمل باحثا في مركز الأبحاث الفلسطينيي, وأصدر كتاب "دراسات نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية"؛ فأثار غضب القيادة الفلسطينية، وفُصل من مركز الأبحاث بأمر من الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، ومُنع من الكتابة في مجلة "شؤون فلسطينية"، إلا أن المفكر الفلسطيني الراحل أنيس صايغ، (رئيس التحرير آنذاك)، تدبّر مسألة استمراره في المجلة باسم مستعار, وقد شغل العظم عدّة مناصب، من أهمها: أستاذ الفلسفة والفكر العربي الحديث والمعاصر بجامعتي نيويورك والجامعة الأميركية

في بيروت، وترأّس تحرير مجلة *الدراسات العربية* التي تصدر ببيروت، ثم عاد للعمل في جامعة دمشق من ١٩٨٨م, ثم عمل رئيسا لقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية "بكلية الآداب" بدمشق، بين عامي (١٩٩٣م – ١٩٩٨م), ولما تقاعد من العمل بها، تنقل بين عدة جامعات عالمية؛ إذ عمل أستاذًا بجامعتي (برنستون وهارفارد) في أمريكا، وبجامعات (هامبورغ، وهومبولت، وأولدنبورغ) بألمانيا، وبجامعة توهوكو في اليابان، وبجامعة أنتويرب في بلجيكا، وتمتع بعضوية "أكاديمية العلوم والآداب الأوروبية, وهلك عن عمر بلغ ٨٢عاما.

أهم أعماله: دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، وهو من منشورات الجامعة الأمريكية في بيروت عام (١٩٦٦م), والنقد الذاتي بعد الهزيمة، من إصدار دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (١٩٦٨م), وفي الحب والحب العذري، من منشورات دار نزار قباني (١٩٦٨م), **ونقد الفكر الديني (١٩٦٩م)**, ودراسات يسارية، من إصدرارت دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (١٩٧٠م), وسياسة كارتر ومنظروا الحقبة السعودية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (١٩٧٧م), وزيارة السادات وبؤس السلام العادل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (١٩٧٨م), والاستشراق والاستشراق معكوساً، دار الحداثة للطباعة والنشر (١٩٨١م), ذهنية التحريم(١٩٩٤م), وقد دافع فيه عن صاحب كتاب آيات شيطانية لكاتبه البريطاني الجنسية

هندي الأصل سلمان رشدي, وما بعد ذهنية التحريم (١٩٩٧م), ودفاعا عن المادية والتاريخ، دار الفارابي, الإسلام والنزعة الإنسانية العلمانية, والأصولية الإسلامية – تحديد نقدي للمشكلات والافكار والمداخل، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، (١٩٩٨م), وأثر الثورة الفرنسية في عصر النهضة، دار الفارابي.

الجوائز التي حصل عليها: حاز الرجل عدّة جوائز دوليّة منها: جائزة "ليوبولد لوكاش" للتفوق العلمي عام ٢٠٠٤م، والتي تمنحها جامعة توبينغن بألمانيا، وجائزة "يرازموس بهولندا، وكان آخرها، وسام الشرف الألماني من معهد غوته الألماني، في التاسع من يونية عام ٢٠١٥م, وقد قال العظم يومها: "شرف كبير لي، وفخر أكبر أن تكرمني الجمهورية الاتحادية الألمانية بهذا الوسام، وأن تقترب خاتمة فاعليتي في الحياة الثقافية العربية، على وقع الاحتفال بتقليدي ميدالية غوته، وأضاف: "أبدأ كلامي بالتذكير بكتاب المفكر السوري الراحل بوعلي ياسين([1])، حول (الثالوث المحرم) في ثقافتنا العربية السائدة؛ أي (الدين، والسياسة، والجنس)([2]).

[1]) بوعلي ياسين: مفكر وكاتب سوري، ولد في قرية عين الزهور أو (عين الجرب) في شمال اللاذقية، عام ١٩٤٢م، اسمه الحقيقي "ياسين حسن"، وكان أصدقاؤه يلقبونه بـ (بو علي)، توفي عام ٢٠٠٠م، من أهم مؤلفاته: الثالوث المحرم: دراسة في الدين والجنس والصراع الطبقي، ١٩٧٣م.

[2]) راجع: قراءة تنويرية في إرث المفكر السوري الراحل صادق جلال العظم, أوس داوود يعقوب, صفحة: مؤمنون بلا حدود, تاريخ زيارة الموقع: الأربعاء٢/٣/٢٠٢٢م.

ومن هنا ندرك أن الغرب يحتفي بأولئك الذين يشكلون بكتاباتهم معاول هدم لمعتقدات هذه الأمة, وأضيف-كما هو واضح من عناوين مؤلفاته وتواريخ نشرها- أن د/ العظم لم يوجه سهام النقد الموجه نحو الإسلام والفكر الديني إلا بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م, وعليه فإن د/ العظم ينتمي إلى طائفة من المفكرين الذين يحملون الإسلام والفكر الديني مسؤولية الهزيمة مع أنه لم يكن لرجالاته المحسوبين عليه-في سياسة الأمور- ناقة ولا جمل, وسوف أتناول قضية البحث من خلال عرض كلام د/ العظم ونقده من خلال المباحث والمطالب التالية .

المبحث الأول

ادعاء العظم أسطورية شخصية إبليس ونقده

مدخل

اشتمل كتاب العظم (نقد الفكر الديني) على ما أسماه بمأساة إبليس, وقد درج الكاتب– على عادة أقرانه – إلى استخدام مصطلحات بها شيء من الجدة وربما البريق الذي يوهم من عاينه أنه شيء ذو بال, فهو في بداية كتابه يعرف بالفكر الديني الذي ينقده بأنه (الصعيد العلوي الواعي لكتلة هلامية شاملة غير محددة الجوانب من الأفكار والتصورات **والمعتقدات** والغايات والعادات التي نطلق عليها أسماء عديدة منها **الذهنية الدينية أو الأيديولوجية الغيبية أو العقلية الروحية** السلفية..الخ بهذا المعنى **تتصف الذهنية الدينية بطغيان التقبل العفوي والانتظام اللاشعوري للإنسان ضمن إطار الأيديولوجية الغيبية الضمنية والسائدة)**([1]), ويرى أنه في نقده لهذا

[1]) نقد الفكر الديني, د/ صادق جلال العظم, ص٧, ط دار الطليعة, بيروت, ط٢, ١٩٧٠م.

الفكر لابد من استخدام المنهج العلمي التحليلي لنقد هذه الأيديولوجية الغيبية السائدة على كافة المستويات([1]), وكلام الرجل- كما هو واضح- يقوم على وجود ثنائية بين العلم والدين؛ بمعنى مناقضة هذا لذاك, وهي فرضية غير صحيحة قطعا, ونلاحظ- كذلك- من خلال هذا الكلام أننا بصدد شخصية رافضة لكل ما هو غيبي على المستوى الأنطولوجي(الوجودي), وليس فقط على المستوى الاجتهادي لفهم النصوص -المسلم بها- بشكل مختلف عن السابقين, وهذا يعني أننا بصدد حالة لا تتعامل مع القرآن الكريم كنص معصوم, ولا مع منزله سبحانه وتعالى بشكل مقبول؛ وهذا الكلام ينسحب قطعا على تناوله لقصة إبليس ومأساته على حد تعبيره في كتابه, وأول معالمه اعتقاد العظم أن إبليس شخصية أسطورية لا وجود لها, وهو ما أتناوله في المطلب التالي.

[1]) السابق, ص٨٣.

المطلب الأول: دعوى أسطورية شخصية إبليس

صرح د/ العظم بذلك حيث قال: (بحثي يدور في إطار معين...ألا وهو إطار التفكير الميثولوجي(يريد الأسطوري) الديني الناتج عن خيال الإنسان الأسطوري وملكاته الخرافية...ولا أريد أن أتكلم عنه باعتباره كائنا موجودا وحقيقيا, وإنما أريد دراسة شخصيته باعتبارها شخصية ميثولوجية أبدعتها ملكة الإنسان **الخرافية**, وطورها وضخمها خياله الخصب)([1]), فهو يرى أن قصة إبليس خرافة صنعها خيال الإنسان, بل ينفي- كذلك- إقراره بوجود حقيقي لله والجن والملائكة والملإ الأعلى([2]), ويقول أيضا: (عندما نقول طرد الله إبليس من الجنة يجب ألا نظن بأن مثل هذه الحادثة وقعت

[1]) السابق, ص٨٣ باختصار.

[2]) راجع: السابق, ص٨٥, وأحيل القاريء ههنا إلى كتاب كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق وطبيعة المخلوق, بالقسم الاول من الكتاب, وهو خاص بالإلهيات يثبت فيه وجود الله بالحجج العقلية ويرد شبهات الماديين, للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي, ص٧٧-١٧٥, دار الفكر المعاصر, بيروت, لبنان, ط٨, ١٩٨٢م..

في تاريخ هذا الكون؛ لأن مغزى هذا الكلام ومعناه يكمن في كونه رمزا لا قي كونه وصفا لأحداث وقعت بالفعل)([1]), وهو يحاول في كلامه الأخير أن يصبغ قوله الأول بصبغة تبرره؛ وهي أن القصة ما هي إلا رمزيات معنوية لا أحداث حقيقية وقعت بالفعل.

المطلب الثاني: نقد دعوى الأسطورة في شخصية إبليس

النقطة الأولى : أخطاء وقع فيها د/ العظم حين ادعى اسطورية شخصية إبليس

وقع د/ العظم في أخطاء عديدة حين ادعى أسطورية قصة إبليس, فقد وقع في:

أولا: فيالتقليد الأعمى

سقط د/ العظم في هاوية التقليد الأعمى حين تبنى طريقة فاق فيها الفلاسفة الذين أنكروا بعض الحقائق القرآنية زاعمين أن الآيات التي تحدثت عن البعث الأخروي– على سبيل المثال– تحدثت عن أمثال ورموز لا تراد معانيها الحقيقية([2]), وبئس ما قال وقالوا, وقد أشار القرآن إلى مقولة الكافرين

---

[1]) نقد الفكر الديني, ص٨٥.

[2]) كالفارابي وابن سينا, راجع: المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي, ص٢٢,١٧, دار ابن خلدون للنشر والتوزيع, الإسكندرية, بدون تاريخ, وتهافت الفلاسفة له, تحقيق:د/ سليمان دنيا, المسألة ٢٨, ص٢٨٣–

في قوله تعالى:(**وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**)([1]), وقوله: (**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**)([2]).

وليس د/ العظم أصيلا في هذا النمط من التفكير؛ فهو يسير على درب سابقيه من دارسي المعتقدات الدينية في الغرب الذين فسروا الدين (في ضوء الأساطير والتراث الديني للشعوب القديمة)([3])؛ بالإضافة إلى أن بحث العظم عن إبليس: (لم يكن من بنات أفكاره، ولا من وحي ثقافته العلمية، وإنما استقى خطوطه الأساسية من بحث المستشرق ترتون([4]) عن الشيطان،

٢٩٢, ط٦ دار المعارف, القاهرة, د.ت, ومن عبارات ابن سينا: ولو فرضنا الأمور الأخروية روحانية غير مجسمة, لم يكن سبيل الشرائع...منبها بالدلالة عليها, بل بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة إلى الأفهام, انظر: رسالة أضحوية في أمر المعاد للشيخ الرئيس(ابن سينا), تحقيق د/ سليمان دنيا, ص٥١,٥٠, دار الفكر العربي, مصر, ط١, ١٩٤٩م,ويقول في ذات المصدر ص٥٤,٥٣: الأمور الواردة في هذا الموضوع(يقصد البعث الجسماني) في الشرائع إذا أخذت على ما هي عليها لزمها أمور محالة وشنيعة, وراجع كلام الفارابي في السياسة المدنية, الملقب بمباديء الموجودات,أبو نصر الفارابي ص٨٢, تحقيق: د/ فوزي سري نجار, المطبعة الكاثوليكية, بيروت, لبنان, ١٩٦٤م.

[1]) سورة النحل: آية ٢٤.

[2]) سورة الفرقان: آية ٥.

[3]) منهج مرسيا إلياد في دراسة الأديان دراسة تحليلية, أحمد رضا, ص٢, رسالة ماجستير بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

[4]) هو مؤرخ ومستشرق لاهوتي إنكليزي, ولد ١٨٨١م. وتوفي١٩٧٣م في ضواحي لندن, من مؤلفاته: الإسلام عقائد وممارسات, وعلم العقائد الإسلامية, راجع: الأعلام, خير الدين الزركلي, ١ / ٢٨٧, دار العلم للملايين, بيروت, ط١٥, ٢٠٠٢م.

وبحث المستشرق فنسنك([1]) عن إبليس المنشورين في دائرة المعارف الإسلامية)([2]), كما تأثر د/ العظم بالفيلسوف الألماني (أرنست كاسبرز)([3]), الذي حدد ملامح الأسطورة بقوله: (عالم الأسطورة عالم درامي, عالم أعمال وقدرات وقوى متصارعة. والأسطورة ترى هذا الاصطدام بين تلك القوى في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة. والادراك الأسطوري مفعم دائمًا بهذه الخصائص العاطفية، فكل ما يرى أو يحس محاط بجو خاص – جو من الفرح أو الحزن أو العذاب أو الهياج والاستبشار والغم. في حال الأسطورة لا نستطيع أن نتحدث عن "الأشياء" باعتبارها مادة ميتة أو هامدة، فكل شيء ثمة خيِّر أو شرير، صديق أو عدو، مألوف أو غريب، جذاب معجب أو

[1]) مستشرق هولندي, عاش في الفترة (١٨٨٢ – ١٩٣٩ م), اهتم بالحديث النبوي، فوضع بالانجليزية معجما للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتابا من كتب السنن والسيرة، نقله إلى العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي, وسماه : (مفتاح كنوز السنة), وتولى فنسنك تحرير دائرة المعارف الاسلامية سنة ١٩٢٥ م، بلغاتها الثلاث، فأتم منها أربعة مجلدات وخمس ملازم. وكتب مقالات كثيرة في مجلات مختلفة, وبدأ بنشر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي بالعربية وتوفي قبل إتمامه راجع: السابق, ١/ ٢٨٨,٢٨٩.

[2]) راجع دائرة المعارف الإسلامية, فنسنك وآخرون, مادة إبليس, ج١, ص١٨٥–١٨٧, مطبعة الشعب, القاهرة, ط٢, ١٩٦٩م, ومادة شيطان, ج١٤, ص٤٦–٤٩, وقد علق الشيخ أمين الخولي على المادتين في ج١٤, ص٤٩–٥٧, ط دار المعرفة, بيروت, لبنان, بدون تاريخ.

[3]) عاش بين(١٨٧٤ – ١٩٤٥م), وهو فيلسوف ألماني ومؤرخ فلسفة ينتمي إلى ما يسمى بمدرسة ماربورج في الفلسفة الكانطية الجديدة. اشتهر كأبرز شارح للفلسفة النقدية الكانطية في القرن العشرين. غادر ألمانيا في عام ١٩٣٣م، وتوفي في نيويورك. من أشهر أعماله: "الجوهر والوظيفة" (١٩١٠م)، "الحرية والشكل" (١٩١٦م)، "فلسفة الأشكال الرمزية" (١٩٢٣ – ١٩٢٩م)، "الأسطورة والدولة" (١٩٤٢م)، "الرمز والأسطورة والثقافة (١٩٧٩)، "اللغة والأسطورة" (١٩٢٥م).

منفرد متوعد)([1]), وهذه المواصفات موجودة- بحسب- العظم في قصة إبليس, التي تشبه من وجهة نظره الأعمال الأدبية الخيالية المأساوية, التي ضرب العظم عدة أمثلة لها, ولا أرى فائدة في تضييع وقت القارىء بتفصيلاتها مكتفيا ههنا بالإحالة لمكانها في كتاب د/ العظم([2]).

ثانيا: تطبيقه للمنهج التجريبي في المعرفة على حوادث تاريخية

بلور د/ العظم كلامه عن أسطورية شخصية إبليس وغيرها –فضلا عما سبق–بحكم دراسته الفلسفية وانتمائه للمدرسة المادية التجريبية, وهي مدرسة لا تقيم للمعرفة وزنا إلا من خلال الحس والتجربة, وهو بالضبط ما يعتقده, إذ يقول معبرا عن قناعته في طريقة الوصول لمعرفة صحيحة: (إن الطريقة العلمية في الوصول إلى معارفنا وقناعاتنا عن طبيعة الكون ونشأته وعن الإنسان وتاريخه **تتنافى تماما مع . المنهج الاتباعي السائد في الدين؛**

[1]) مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، أو مقال في الإنسان، أرنست كاسيرر، ترجمة د/إحسان عباس، ص ١٤٧، ١٤٨, دار الأندلس، بيروت، ١٩٦١.

[2]) راجع: نقد الفكر الديني, صفحات٩٩-١٠٢,١٠٤,١٠٧, مرجع سابق, ومن تلك الأساطير مأساة أوديب التي توجت بزواجه من أمه, راجع: من الأدب الثمثيلي اليوناني: سوفوكليس, ترجمة د/ طه حسين, ص٢٨٠-٢٨٢, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة, ١٩٣٩م, وتناول العظم القصة بهذا الشكل يعني تسويته بينها وبين غيرها من كتابات الأدباء والروائيين المحترفين لكتابة الدراما المأساوية, وعلى العموم ليس بعد الكفر ذنب.

لأن المنهج العلمي قائم على الملاحظة والاستدلال)([1]), وبما أن الأحداث التاريخية السابقة التي لا يمكن استدعاؤها حسيا وإخضاعها للملاحظة للوصول لمعرفة يقينية –وإن وردت في النص الديني – فمن وجهة نظر العظم– لا يصح التعامل معها على أنها معارف حقيقية يقينية, بل هي– عنده– إلى الأساطير الخرافية أقرب؛ لتشابه سياقاتها.

تقييم ونقد: لا يمكن–بحال– قبول هذا الطرح ظاهر البطلان؛ لأن التفكير بهذه الطريقة سينتهي بصاحبه إلى الشك في كل شيء؛ فليست التواريخ والأحداث البعيدة زمانيا مما يمكن إخضاعه لهذا المنهج؛ لأن صلاحيته قاصرة على ما يمكن تجربته كالتفاعلات الكيميائية وأشباهها, أو إدراكه بالحواس المعروفة, أو استدعاء آثار حسية تدل عليه.

مثال توضيحي: عند النظر إلى سجادة ملونة أدرك صورة السجادة الملونة بحاسة البصر, وحين أغمض عيني يتلاشى العرفان البصري, ولكن يبقى أثر في الذهن لصورة السجادة يسميه الفيلسوف الانجليزي ديفيد هيوم([2])

---

[1]) السابق, ص٢٢.

[2]) ديڤيد هيوم الإنجليزي, ولد ١٧١١, وتوفي ١٧٧٦م، فيلسوف من الشخصيات المهمة فى الفلسفه الغربية و تاريخ التنوير الاسكتلندى. تأثر بافكار چون لوك السياسيه و الفلسفية التجريبية, رفض فكرة ان العقول البشرية نسخ مصغرة من العقل الإلهى, من كتبه: مباحث أخلاقية وسياسية, محاولات فلسفية فى الفاهمة البشرية، مبحث فى الأخلاق.

بالفكرة, في حين يطلق على الصورة الأولى الأثر الحسي, وعلى هذا الرأي لا تنشأ في العقل أفكار إلا إذا سبقتها آثار حسية تكون هي المرجع للحكم بخطإ أو صواب هذه الأفكار, ولو تعذر تتبع هذه الأفكار بردها إلى أصولها الحسية, فلا يمكن حينها الحكم بصحة هذه الأفكار([1]), ولو حاكمنا د/ العظم بهذه الفكرة, فسنقول له: إن جدك الخامس ليس له وجود؛ لعدم وجود أثر مادي يدل عليه, وبناء على ماسبق يكون من السفه مطالبة الأنبياء أو الدعاة إلى الله –على بصيرة– بأدلة على قصة آدم وإبليس زيادة على الوحي, كما لا نطالب العظم بتقديم أدلة مادية على وجود سقراط وأفلاطون اللذين يؤمن العظم بأنها شخصيات حقيقية وليست أسطورية.

[1]) راجع هذه الفكرة في: هوامش على كتاب نقد الفكر الديني, الشيخ محمد حسن أل ياسين, ص٣٢, ٣٣, دار الأنوار للمطبوعات, بغداد, ط٥, ١٩٧٨م, وراجع في الشك العلمي عند (هيوم) كتاب: تمهيد للفلسفة, د/ محمود حمدي زقزوق, ص١٥٠, مكتبة الإيمان, ط٢, ٢٠١٧, القاهرة, وأضيف أنه وقع في مثل ذلك رموز المدرسة العقلية, ومن تأثر بهم من المفكرين المسلمين, مثلما وقع لـ د/ طه حسين ت (١٩٧٣م) في كتابه عن الشعر الجاهلي١٩٢٦م, حين حاول استخدام منهج الشك الديكارتي تقليدا لديكارت ت(١٦٥٠م) رائد المدرسة العقلية الغربية, وذلك عند تعرضه لذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام, ولكنه تراجع عن ذلك على ما ثبت عنه في كتابه مرآة الإسلام, راجع: في الشعر الجاهلي, د/ طه حسين, تقديم ودراسة سامح كريم, ص٢٢٦, وقد أورد نص كتاب د/ طه حسين في الجزء الخاص بالوثائق من الكتاب, وفي ص٢٦من نص وثيقة كتاب في الشعر الجاهلي جاءت عبارته الشهيرة عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام, ط الدار المصرية اللبنانية, بدون تاريخ, وراجع: مرآة الإسلام, د/ طه حسين, ص٢٠١–٢٠٣, ط دار المعارف, مصر, ١٩٥٩م, وراجع كذلك : تقديم د/ محمد عمارة لذات الكتاب الذي نشرته مجلة الأزهر في هدية عدد صفر ١٤٤٠هـ– أكتوبر ٢٠١٨م, ص١٨.

النقطة الثانية: الأدلة العقلية والنقلية على بطلان كون التجربة والحس مصدرا وحيدا للمعرفة

أولا: الدليل العقلي

النظر– فضلا عما سبق– قاض بأن التجربة والحس لا ينهضان لإدراك مفهوم العلية أو السببية, كما أن المفهوم الفلسفي لا يستطيع إثبات الجوهر أو العنصر, كما أن المعرفة الحسية لا تقبل فكرة التعميم, كما أنا لو اعتمدنا على الحس وحده مصدرا للمعرفة لما أمكن الحكم باستحالة شيء, لأن الاستحالة لا تدخل في نطاق التجربة([1]).

ثانيا: أدلة النقل

القرآن الكريم خير شاهد على وجود مصادر أخرى للمعرفة؛ فالقرآن جعل **للوحي المعصوم** دورا كبيرا في تحصيل المعارف اليقينية عن **طريق الإيمان بالغيب المسطور فيه**, قال تعالى: **(الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى**

[1]) راجع الأدلة العقلية بتفصيل في هوامش على كتاب نقد الفكر الديني, صفحات: ٣٤–٣٨ (مرجع سابق).

لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)([1]), وما إيماننا بالأنبياء والرسل والملائكة والجن والثواب والعقاب والجنة والنار وقصص الأنبياء([2]) إلا من الإيمان بالغيب, مع تيقننا بأنها معارف حقة لا ساذجة كما زعم العظم, بالإضافة إلى الدور المعرفي للعقل, والذي تشير إليه الآيات المذيلة ب(لقوم يعقلون) كقوله تعالى: **(وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)**([3]), بل إن القرآن استخدم أدلة عقلية تؤكد وحدانيته سبحانه كقوله تعالى: **(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)**([4]), وقوله: **(أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)**([5]), **وهذا كثير في القرآن الكريم,** ويضاف إلى ما سبق نوع آخر من المعرفة,

---

[1]) سورة البقرة : ١–٥ .

[2]) ولسنا في حاجة إلى وثيقة أثرية أو تاريخية نبرهن بها على غرق فرعون وجنوده مثلا, فالقرآن يكفينا, حتى لو لم يرد خبر ذلك في وثائق من هذا النوع كما ذكر الهالك سيد القمني في أحاديث مسجلة له تلفزيونيا.

[3]) سورة الرعد: ٤.

[4]) سورة المؤمنون: ٩١.

[5]) سورة الأنبياء: ٢١, ٢٢.

وهو المعرفة الإلهامية على غرار ما جرى على العبد الصالح من معرفة وهبية غير كسبية وهو بصحبة نبي الله موسى عليه السلام, قال تعالى في معرض البيان لبعض صور هذه المعرفة:(**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**)([1]), وكان ذلك علما لدنيا, قال تعالى: (**وعلمناه من لدنا علما**)([2]), وهذا من الرزق الباطن؛ لأن الرزق رزقان: ظاهر للأبدان كالأقوات والمطاعم والمشارب, وباطن للقلوب وما ذاك إلا العلوم والمعارف([3]), قال تعالى: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**)([4]), وقد نقل العلامة د/ سليمان دنيا(ت١٩٨٥م), وكذا د/ زقزوق(ت ٢٠٢٠م)عن حجة الإسلام الغزالي(ت ٥٠٥م) في الإحياء([5])

[1]) سورة الكهف: ٧٩-٨٢.

[2]) سورة الكهف: ٦٥.

[3]) راجع: أرجوزة جوهرة التوحيد للإمام اللقاني مع شرحها تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم الباجوري, تقديم وتعليق لجنة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر, القسم الثاني, ص ١٩٧, مطبعة جامعة الأزهر.

[4]) سورة الطلاق:٢, ٣.

[5]) راجع: إحياء علوم الدين, للإمام أبي حامد الغزالي ٥/٥٦-٥٨, ط دار المنهاج, السعودية, ط١, ٢٠١١م.

وميزان العمل([1]) ما فيه بيان للفرق بين طريق النظار وطريق المتصوفة إلى المعرفة, مع التأكيد على أن أولوية طريقة على أخرى تختلف باختلاف حال القابل لهذه المعارف؛ فما يناسب زيدا قد لا يناسب عمرا؛ لاختلاف حال كل منهما عن الآخر([2]).

وبعد هذه المناقشة المختصرة والناقدة لضلالات إخضاع العظم فصة إبليس للتصور الميثي, أنتقل بالقاريء إلى الفكرة المحورية التي بنى عليها العظم ما لا يستقيم بناؤه من أفكار, ونظرا لمركزية هذه الفكرة أبادر بها؛ لأنها فكرة أكثر جدية من التصور العدمي السابق استعراضه ونقده, وإليك البيان في المبحث التالي.

[1]) راجع: ميزان العمل, للإمام أبي حامد الغزالي, تحقيق: د/ سليمان دنيا, ص٢٢٤-٢٢٦. ط١, دار المعارف, مصر, بدون تاريخ.

[2]) راجع: بحوث ومقالات, د/ سليمان دنيا, ص٨٢-٨٩, هدية مجلة الأزهر, عدد شعبان ١٤٤٣هـ, تمهيد للفلسفة, د/ محمود حمدي زقزوق, ص ١٨٢-١٨٥, وللتوسع راجع: نظرية المعرفة, د/ زكي نجيب محمود, الباب الثاني من ص ٣٥-٦٤ الذي تعرض فيه لمصادر المعرفة عند المدارس المختلفة, نشر مؤسسة هنداوي, ٢٠١٧م, ونظرية المعرفة بين القرٓن والفلسفة, د/ راجح عبد الحميد الكردي, ص٣٨٣-٣٩٤, مكتبة المؤيد, الرياض, ط١, ١٩٩٢م .

المبحث الثاني: □

محنة إبليس في فكر د/ العظم ونقدها

وسوف أستعرض في المطلب التالي ملامح المحنة تمهيدا لنقدها على النحو التالي.

المطلب الأول: ملامح المحنة عند د/ العظم

انطلق د/ العظم في رحلته –في كتابه نقد الفكر الديني– في بيان ملامح هذه المحنة التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

النقطة الأولى: تصور العظم أن الأمر بسجود إبليس لآدم يتعارض مع التوحيد المطلق لله أقول: معلوم أن أمر الله –سبحانه– بالسجود لآدم شمل إبليس, قال تعالى: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ**

مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)[1], ولكن العظم يوافق إبليس في اعتراضه على الأمر الإلهي ورفضه له؛ إذ يقول: (لو وقع إبليس ساجدا لآدم لخرج عن حقيقة التوحيد وعصى واجبه المطلق نحو معبوده)[2], **وهذه مغالطة** أرجيء مناقشتها وردها إلى المطلب التالي الخاص بالنقد.

النقطة الثانية: استحسان العظم تبرير إبليس لرفض السجود لآدم لفضله المزعوم على آدم, وقد بنى ذلك على أمرين يقول عن أولهما: (عند إمعان النظر في **حجة إبليس الأولى** التي تتألف من مفاضلته بين جوهره (النار) وبين جوهر آدم (الصلصال) نجد أنها لم تكن استكبارًا وفخارًا بقدر ما كانت استذكارًا لحقيقة أساسية شاءها الله وأوجدها على ما هي عليه؛ وهذه الحقيقة هي أن الله لم يخلق الطبائع على درجة واحدة من السمو والكمال, وإنما ميَّز بينها. ليس من حيث خصائصها الطبيعية والمادية فحسب بل من حيث درجات كمالها ورفعتها أيضًا, ... **ولا ريب أن النار بطبيعتها وجوهرها تحتل**

[1]) سورة الحجر: الآيات من ٢٨-٤٢.
[2]) نقد الفكر الديني, العظم, ص٩٠.

مرتبة أسمى وأرفع في هذا الترتيب من المرتبة التي يحتلها الصلصال. بعبارة أخرى، تنطوي مفاضلة إبليس بين جوهره وبين جوهر آدم على نظرة فلسفية معينة لنظام الكون وترتيب الطبائع وفقًا لدرجات الكمال التي تتصف بها. **لذلك كان إبليس على حق في جوابه** لأن الخالق جعل الأشياء على ما هي عليه من درجات الكمال والسمو، وأمر السجود لآدم يشكل مخالفة صريحة لهذا النظام وخروجًا على الترتيب الذي شاءه الله وأوجده)([1]), **وأما الحجة الثانية**(فكانت تستند إلى علم الملائكة بأن آدم وذريته سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، **فكيف يسجد من كان غارقًا في التوحيد والتسبيح والتقديس ومن أمام الملائكة وخطيب الكروبيين([2]) لمخلوق سيفسد في الأرض ويسفك الدماء**)([3]), وكلامه هذا مبناه أن إبليس بمقتضى كونه بين الملائكة تكون له أفضلية على آدم كسائر الملائكة من وجهة نظره, وسواء

[1]) السابق, ص٩١,٩٢باختصار.

[2]) ملائكة حافون بالعرش طائفون به, لقبوا بذلك؛ لأنهم يتصدون للدعاء برفع الكرب عن الأمة وقيل غير ذلك, انظر: أرجوزة التوحيد, القسم الثاني, ص٧٥ (مرجع سابق).

[3]) نقد الفكر الديني, ص٩٣.

أقصد العظم بعباراته([1]) أن إبليس من الملائكة كما فسرها بعض النقاد([2]) أم لم يقصد, فهو يرى أن ما ينسحب على الملائكة من تفضيل لهم على آدم ينسحب عليه, وهذه قناعة الرجل, علما بأن مسألة المفاضلة بين الملائكة وآدم عليه السلام ليست محورية كما سيتبين عند نقد هذه الفكرة.

النقطة الثالثة: تصور د/ العظم أن إبليس كان ضحية لأمر إلهي خالفه بمشيئة إلهية سابقة, يقول د/ العظم:(وقع إبليس بين شقي الرحى؛ **رحى المشيئة** من ناحية, **ورحى الأمر من ناحية أخرى**, فكان عليه أن يختار اختيارا مصيريا بين واجبه المطلق في التقديس والتوحيد والتسبيح وبين واجبات الطاعة الجزئية التي أمره بها الله, فجاءت محنته مفعمة بالعناصر الدرامية والمأساوية)([3]), ثم يقول في موضع آخر: (لو أراد إبليس خلق المعصية لكان بقدرته تعالى أن يمنعها, وبما أنه لم يمنعها, نستنتج أن وجودها كان منسجما

[1]) فقي ص٨١ مثلا من كتابه نقد الفكر الديني يقول:(كان إبليس من المقربين بين الملائكة وكان له شأن عظيم في نظام الملأ الأعلى), وفي ص٩٤يقول:(قصة إبليس تبرهن على أنه حتى سادة الملائكة والمقربين منهم ليسوا بمنجاة من غواية الشر وإلا لما عصى إبليس ربه), وفي ص٩٥يقول:(لا فضل لآدم على الملائكة بما فيهم إبليس), وفي ص١٠٠يقول: (كان إبليس للملائكة معلما وعلى الكروبيين مقدما), وفي ص١٢٣ يقول: (طرد سيدهم) يصف إبليس بسيد الملائكة, وفي ص١٢٨ يقرر أنه ملاك في خدمة ربه.

[2]) راجع مثلا: صراع مع الملاحدة حتى العظم, ص٣٢٦, ط دارالقلم, دمشق, ط٥, ١٩٩٢م, والبرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني, جابر حمزة فراج ص١٣٠, دار الآفاق الجديدة, بيروت, ط٢, ١٩٨٢م, وهوامش على كتاب نقد الفكر الديني, محمد حسن ال ياسين, ص٦١, القرآن والملحدون, محمد عزة دروزة, ص١٧٢,المكتب الإسلامي, دمشق, ط١, ١٩٧٣م.

[3]) نقد الفكر الديني, ص٩٣,٩٤.

مع مشيئته)([1]), والعجب كل العجب أن كلامه هذا فيه خلط بين التصور الدرامي الذي يليق بمسرحية من تأليفه, وبين قضية الجبر والاختيار في الإسلام, وهي من كبريات القضايا الشائكة في الفكر الإسلامي, وفرق كبير بين الحقيقة التي نؤمن بها في كتاب ربنا ويرفضها العظم, وبين التصور الجبري الذي توهمه العظم من المسلمات, والذي حاول تعزيزه بنقل حوارات متصورة لإبليس على ألسنة بعض المتصوفة كالحلاج (ت٣٠٩هـ) في الطواسين([2]), والعز بن عبد السلام المقدسي(ت ٦٧٨هـ) في تقليس إبليس, حيث تخيل الأخير قول إبليس: **(خلقني كما شاء, وأوجدني لما شاء, واستعملني فيما شاء, وقدَّر عليَّ ما شاء, فلم أطق أن أشاء إلا ما شاء, فما تجاوزت ما شاء, ولا فعلت غير ما شاء, ولو شاء لردني إلى ما شاء, وهداني بما شاء, ولكنه شاء, فكنت كما شاء, فمن يكون على القضاء عوني, ومن يطق من القدر صوني, لكن كل ما يرضيه مني, رضيت به**

[1]) السابق, ص١٢٧,١٢٨.

[2]) ورد في طاسين الأزل والاقتباس الحوار التالي بين موسى وإبليس، فقال له: "يا إبليس! ما منعك عن السجود ؟"، فقال: "منعني الدعوى بمعبود واحد، ولو سجدت له لكنت مثلك. فإنك نوديت مرة واحدة "انظر إلى الجبل، فنظرت"، ونوديت أنا ألف مرة أن أسجد فما سجدت لدعواي بمعناي, الطواسين, طاسين الأزل والاقتباس, ص ١٩١, دون بيانات أخرى.

على رأسي وعيني, يا هذا ما حيلة من ناصيته في قبضة القهر, وقلبه بيد القدر, وأمره راجع إلى حكم القدم, وقد قضي الأمر وجفَّ القلم)([1]).

النقطة الرابعة: تطلع د/ العظم إلى نهاية سعيدة لإبليس

يتناول د/ العظم خاتمة قصة إبليس بالقياس على تجارب تعرض لها آخرون في سياق القصص القرآني كقصة إبراهيم وولده الذبيح عليهما السلام, فكما انتهت قصة الأخيرين نهاية سعيدة بالفداء, فكذا ينبغي أن تكون في شأن إبليس؛ لأن الخليل –وكذا إبليس– نجحا في الاختبار من وجهة نظر العظم, يقول العظم عن إبليس: (إن الله سيكافئه على نجاحه في التجربة التي ابتلاه بها ويعيده إلى الجنة عندما تشرف هذه الدراما الكونية على الانتهاء, سأقدم فيما يلي الاعتبارات والأسباب التي جعلتني أستنتج أن نهاية إبليس ستكون نهاية سعيدة ومرضية:١– **تمسك إبليس بحقيقة التوحيد تمسكًا لا مثيل له**، ولذلك لا يمكن أن ينتهي في جهنم عملاً بالحديث القدسي: (إني

[1]) تفليس إبليس, العز بن عبد السلام المقدسي, تحقيق سليم الهلالي, ص٣٤,٣٣, ط دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ط٢, ١٩٩٢م, وقد أورد الإمام الشهرستاني شلهات سبعة لإبليس غير مسندة هي الأخرى وجعل الشبهة الثانية له أصلا لبدعة الجبرية, وهي قوله: إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفني= =بمعرفته وطاعته, وما الحكمة في هذا التكليف بعد ألا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية؟ انظر: الملل والنحل للشهرستاني, تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود, ج١/٢٧,٢٣, ط دار المعرفة, بيروت, ط٣, ١٩٩٣م.

أنا الله لا إله إلا أنا, من أقر لي بالتوحيد دخل حصني, ومن دخل حصني أمن من عذابي)([1]).

٢-.نجح إبليس في التجربة التي ابتلاه الله بها وصبر على البلاء الذي حل به من جرائها, وعليه فإن مكافأته النهائية مضمونة بدليل الحديث القدسي: (إذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني وصبر على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا, ويقول الرب عز وجل: (إني قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر)([2]), ولولا هذه النهاية السعيدة المتوقعة لإبليس لكانت خاتمته مأساة حقيقية ونهائية **لا يمكن لمنطق الدين أن يقبل بوجودها**)([3]), وبناء

[1]) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية, العلامة زين الدين المناوي, تحقيق عبد القادر الأرناووط وطالب عواد, , ص٤٨, ح رقم ٤٥, دار ابن كثير للطباعة والنشر, دمشق وبيروت, ط٢, ٢٠٠٥م.وقال: رواه الشيرازي في الألقاب عن علي, وقال المحقق: رواه أبو نعيم في الحلية, "٣/ ١٩١"من حديث علي رضي الله عنه، وفي إسناده "أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي" وثقه يحيى على تشيع فيه، وتكلم فيه الساجي، والنسائي، وأبو حاتم، والجرجاني. وابن عدي. والدارقطني, وقال أبو زرعة: لا أحدِّث عنه، ولا أرضاه. قال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به، وقال محمد بن طاهر: كذَّاب، فالحديث ضعيف جدًا .

[2]) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (١٧١٥٩)، قال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره, وهذا إسناد ضعيف لضعف راشد بن داود الصنعاني, المسند, الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني, ٤/ ١٢٣, مؤسسة قرطبة, القاهرة , وفي المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية, العلامة ابن حجر العسقلاني, ح (٢٤٥٤)، ١١/ ٦٧, دار العاصمة ، دار الغيث, السعودية, ط١, ١٤١٩هـ, وعزاه إلى أبي يعلى, قال : وهو صحيح, وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣٧/٢٢)، جميعا من طريق إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاشٍ ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ دَاوُدَ الصَّنْعَانِيِّ، صححه ابن كثير في "جامع المسانيد والسنن" (٢٠٥/٤).

[3]) نقد الفكر الديني, د/ العظم, ص١٢٧,١٢٨.

على ذلك يرى العظم ضرورة تغيير النظرة إلى إبليس (وإحداث تغيير جوهري في تصورنا لشخصيته ومكانته,. يجب أن نرد له اعتباره **بصفته ملاكًا** يقوم بخدمة ربه بكل تفان وإخلاص وينفذ أحكام مشيئته بكل دقة وعناية. وأخيرًا يجب أن نكف عن كيل السباب والشتائم له وأن نعفو عنه ونطلب له الصفح ونوصي الناس به خيرًا بعد أن اعتبرناه- زورًا وبهتانًا- مسؤولاً عن جميع القبائح والنقائص, ولكن أرى من واجبي أن أحذركم أن العفو عن إبليس ورد الاعتبار له يستتبع نتائج وعواقب هامة لا تخطر على بال أحد في أول الأمر؛ **إن مثل هذه الخطوة تضطرنا لأن نبذل الكثير من أفكارنا الدينية ومعتقداتنا الموروثة حول أمور الدنيا والآخرة**. ولأعطيكم فكرة بسيطة عن خطورة العواقب التي قد يؤدي إليها العفو عن إبليس، سأستشهد بقصة طريفة وجميلة كتبها توفيق الحكيم)([1]) المتوفى ١٩٨٧م, يقصد قصة قصيرة بعنوان: الشهيد بطلها إبليس, تسرد محاولة يائسة من إبليس للتوبة بدأت بزيارة رؤساء الأديان الذين لم يتمكنوا من مساعدته؛ لكون المسألة أكبر من اختصاصهم,

[1]) السابق,١٢٨,١٢٩.

لينتهي به الأمر بمحاولة توسيط جبريل في السماء ولكن دون جدوى لينزل خائب الأمل معلنا أنه شهيد([1]).

المطلب الثاني: نقد ملامح محنة إبليس عند العظم

وسوف أقوم بالرد على البنود التي ذكرها في النقاط التالية.

النقطة الأولى: نقد تصور العظم أن الأمر بسجود إبليس لآدم يتعارض مع التوحيد المطلق لله

النقد الأول: يظهر من مطالعة كتاب إبليس للعقاد المتوفى١٩٦٤م أن العظم لم يكن أول القائلين بذلك؛ فقد سبقه إلى ذلك كاتب إيطالي يدعى (يابيني) في كتابه: الشيطان؛ حيث أعرب عن دهشته من أمر السجود لآدم مع أن القرآن الكريم شدد في أمر التوحيد والتحذير من الشرك([2]), وبحكم الثقافة الغربية والفلسفية للرجل تكون فكرته منتحلة عن غيره وليس أصيلا فيها, وأضيف أن الكاتب الإيطالي لا يدرك فنون العربية؛ لعجمة فيه لا يدرك معها أن لفظ السجود ذو استخدامات متنوعة؛ فتارة يستخدم لمعنى العبادة,

[1]) راجع قصة الشهيد لتوفيق الحكيم, وهي ضمن مجموعة قصصية فلسفية نشرت تحت عنوان: أربي الله لتوفيق الحكيم, وهي أول قصة بهذه المجموعة, راجع: أربي الله, توفيق الحكيم, ص١٦-٣١, دار مصر للطباعة, القاهرة, بدون تاريخ.

[2]) راجع: إبليس, عباس محمود العقاد, ص٩٨, شركة ومكتبة نهضة مصر, القاهرة, ط٣, ٢٠٠٥م.

وأخرى لمعنى التحية والإكبار, ولكن لا أرى عذرا لكاتب وفيلسوف عربي حتى النخاع والعظم يقول بذات المقالة.

النقد الثاني: شبهة العظم تكون صحيحة لو كان الأمر بالسجود الوارد في الآية سجود عبادة لآدم؛ ولكن الأمر على خلاف ذلك؛ فالسجود هنا سجود تحية وإكبار لا عبادة, وهذا له نظير في القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام وإخوته, قال تعالى:**(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)**([1]), وعليه ففعل السجود تعظيم لأمر الله, ثم تكريم لآدم([2]), ومدارسة أقوال المفسرين تنتهي إلى ذات المعنى([3]), وأعجبني قول أحد النقاد:(وآدم إنما هو قبلة السجود للملائكة وإبليس, وليس هو المسجود له, كما أن الكعبة هي قبلة السجود

---

[1]) سورة يوسف: أية ١٠٠.

[2]) قال ابن أبي حاتم: فسجدوا له كرامة من الله اكرم بها آدم, تفسير ابن أبي حاتم المسمى: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين, للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي, تحقيق : أسعد محمد الطيب١/ ٨٣, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت, د. ت.

[3]) راجع مثلا في سجود إخوة يوسف تفسير مقاتل بن سليمان, ٢ / ١٦٣, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ٢٠٠٣م, تفسير عبد الرزاق الصنعاني, عبد الرزاق بن همام الصنعاني, ٢٢٣/٢, ط دار الكتب العلمية, بيروت, ط١, بدون تاريخ.

بالنسبة للبشر وليست هي المسجود له)([1]), وليس للمعنى الذي ذكره العظم وجود إلا في خياله هو؛ فسجود الملائكة لآدم هو استجابة لأمر الله, وهو منتهى التوحيد؛ فالتعظيم للآمر, والتكريم للمأمور بالسجود له وهو آدم عليه السلام.

النقطة الثانية: نقد استحسان العظم تبرير إبليس لرفض السجود لآدم

بنى العظم هذا الاستحسان على قناعته بالمبررات التي جاءت على لسان إبليس من أن مادة إبليس النارية خير من مادة آدم الطينية, ولا يليق سجود القاضل للمفضول, وكذلك لعلم الملائكة أن آدم وذريته سيفسدون في الأرض, ويسفكون الدماء, أما الملائكة– وحكم إبليس كحكمهم في الأفضلية على آدم بحكم المجاورة أو لأنه منهم كما تشير بعض عبارات العظم– فيسبحون بحمده ويقدسون له, وكلا المبررين غير صحيح؛ وغير مسلم, ويمكن نقضهما على النحو التالي.

نقد المبرر الأول: ذكر الإمام الرازي(ت ٦٠٦هـ) حجة إبليس المذكورة في قوله تعالى حكاية لكلام إبليس: **(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ**

[1]) تهافت الفكر الجدلي وقضايا معاصرة, د/ عب اللطيف الفرفور, ص١٩, دار المعرفة, دمشق, ط١, ١٩٨٨م.

مِنْ طِينٍ)([1]) في تفضيل نفسه على آدم من جهة فضل عنصره الناري على عنصر آدم الطيني, وأن من كان من أصل فاضل فإنه يفضل من كان أصله مفضولا, وبعد أن ذكر الإمام الرازي الخلاف في مسألة فضل النار من جهة الأصل على الطين([2]), **بين أن زعم تفضيل إبليس على آدم بسبب فضل عنصره زعم كاذب جدا** (وذلك لأن أصل الرماد النار, وأصل البساتين . والأشجار المثمرة هو الطين, ومعلوم بالضرورة أن الأشجار المثمرة خير من الرماد)([3])، **وبطلان حجة إبليس يفيد بطلان ما بناه عليها من رفض وقدح في الأمر الإلهي بالسجود لآدم, فاستحق اللعنة من أجل ذلك.**

نقد المبرر الثاني: يكفي لدحض هذا المبرر أن نقرر الحقيقة القرآنية– التي تغافل عنها العظم– وهي أن إبليس– أصلا– ليس من الملائكة([4])؛ بل

---

[1]) سورة الأعراف: آية ١٢.

[2]) راجع: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير, للإمام محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى, ٤١٣/٢٦, دار إحياء التراث العربى, بيروت, بدون تاريخ, والإمام الرازي يميل إلى تفضيل عنصر النار على الطين, ولكن لما لم تكن هذه المسألة جوهرية في المفاضلة بين الذوات الناشئة عن أصول هذه العناصر عزفت عن مناقشتها لكونها غير ذات جدوى.

[3]) السابق,٤١٤/٢٦.

[4]) وقد تأثر العظم بكاتب مادة إبليس في دائرة المعارف الإسلامية الذي اعتمد على أقوال مرسلة ذكرها بعض المفسرين تفيد أن إبليس من طائفة من الملائكة تسمى الجن وأنهم خزان الجنان, وأنه كان من قبيلة من الملائكة تسمى بالجن, أو أنه كان من رؤساء الملائكة, وهي أقوال باطلة ليس لها سند صحيح يعتمد عليه, راجع: دائرة المعارف الإسلامية,١/ ١٨٦, وراجع: جامع البيان في تأويل القرآن, للإمام محمد بن جرير الطبري, تحقيق أحمد شاكر, ١/ ٤٥٥, ٤٥٦, ٤٥٨, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط١, ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

ينتمي إلى عالم الجن قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ **فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً)(١), ولو فرضنا- جدلا- صحة الزعم أنه من جنس الملائكة, وأنه اطلع -كما اطلعت الملائكة- على أن ذرية آدم سوف يفسدون في الأرض كما أفسد من قبلهم, وأنه أفضل من آدم, فلا ينهض ذلك كله لتبرير رفض إبليس السجود لآدم؛ **لأن علة السجود هي الأمر الإلهي**, وهو ما أكد عليه النقاد(٢), بغض النظر عن أفضلية جنس على جنس أو عنصر على عنصر, وهذا يعني أننا لسنا في حاجة إلى الدخول في جدلية هل الملائكة أفضل من صالحي البشر أم أن صالحي البشر أفضل من الملائكة, وهو خلاف مشهور(٣), وعليه فكلام العظم منقوض؛ لاعتماده على عدة مغالطات هي: ادعاء أفضلية إبليس على آدم بسبب أصله الناري وأصل آدم الطيني, ومغالطة أن إبليس من الملائكة, وهذا

---

١) سورة الكهف: آية ٥٠.

٢) راجع: البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني, جابر حمزة فراج, ص١٢٨, ١٣٢, منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت, ط٣, ١٩٨٢م.

٣) الذي اعتمده شارح الجوهرة في مسألة المفاضلة هذه -وبه نقول- هو طريقة السادة الماتريدية أن أفضل الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, ويليه أولو العزم من الرسل, ويليهم سائر الرسل من غير أولي العزم, ويليهم الأنبياء غير الرسل, ثم رؤساء الملائكة كجبريل وميكال, ثم عوام المؤمنين أي أولياؤهم من غير الأنبياء كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما, ثم عامة الملائكة, ثم سائر الناس الذين ليسوا بأولياء, راجع: أجوزة جوهرة التوحيد, القسم الثاني, ص٧٤,٧٥ (مرجع سابق), راجع الفصل الخامس من كتاب عالم الملائكة الأبرار, د/ عمر سليمان الأشقر, ص٨٥-٨٩, مكتبة الفلاح, الكويت, ط٣, ١٩٨٣م.

خطأ؛ لأنه من الجن, ومغالطة أن مسألة المفاضلة هي علة السجود لآدم وليس الأمر الإلهي, ومغالطة أن حصول عصيان وإفساد في الأرض من ذرية آدم سبب لتفضيل الملائكة على آدم وذريته([1]), ومغالطة أن الملائكة (ليبرر صنيع إبليس) يقعون في الغواية كبني البشر([2]) مع أن القرآن نص على أنهم **(لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**([3]), وعليه فإشكالية العظم أنه ينصب من نفسه حكما على النص القرآني وسياق القصة, فيمنح نفسه الحق في التعديل والاقتراح بما ينسجم مع وجهة نظره, ليس هذا فحسب, بل إنه يضع نفسه في موضع الناقد للذات الإلهية, وهو ما أتناوله في مبحث لاحق إن شاء الله تعالى.

النقطة الثالثة: نقد التصور أن إبليس كان ضحية لأمر إلهي, خالفه بمشيئة إلهية سابقة

أولا: أصل الفكرة عند العظم

هذه الفكرة تدور في فلك الفكر الجبري الذي لو صح لبطلت الشرائع ولانتفت حكمة الثواب والعقاب ولأصبح التكليف وما يترتب عليه من حساب

[1]) راجع: نقد الفكر الديني, د/ العظم, ص٩٥ (مرجع سابق).
[2]) راجع في شأن المغالطة الأخيرة: السابق, ص٩٤.
[3]) سورة التحريم: آية ٦.

أخروي ضربا من العبث, وهي فكرة فاسدة؛ لأن الله– سبحانه– نفى عن نفسه العبث, قال تعالى: **(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)**(١), **ولكن الخلفية الماركسية للعظم تسوغ له اعتناق هذه الجبرية ولكن من منظور مادي بحت, باعتبارها تطبيقا ذا طابع خاص للحتمية التاريخية**(٢) التي يقول بها الماديون الماركسيون, ومحاولة تطبيقها على حالة إبليس مع إلباسها ثوب أكثر مذاهب المسلمين شذوذا وتطرفا في الجبر؛ فهو لا ينطلق من الحراك الموجود في الفكر الإسلامي حول مسألة القدر ما بين غلاة في الإثبات وهم الجبرية, وغلاة في النفي وهم المعتزلة, ومتوسطة وهم أهل السنة(السادة الأشاعرة والماتريدية), ولا يلجأ إلى التصريح بوجود آراء متباينة في المسألة من الزاوية الإسلامية إلا للتخلص من تبعات الملاحقة القضائية والمحاكمة(٣), وهو إذ يحاول استقطاب القاريء العربي لا يقرر جبريته من

---

١) سوة المؤمنون: أية ١١٥,١١٦.

٢) لست معنيا هنا بمناقشة الحتمية التاريخية لدى الماركسيين أو الديالكتيكية عند هيجل, وأكتفي بالإحالة إلى من رد عليها من النقاد كما في: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة, د/ عبد الرحمن حبنكة الميداني, ص٥٧٨–٥٩٠, ط دار القلم, دمشق, ط٢, ١٩٩٢م, والأعمال الكاملة للعقاد, ج١٣, صفحات٩٥, ٩٧, ١٠٧–١٢٩من كتاب: الشيوعية والإنسانية, وص٤٢٣ من كتاب: لا شيوعية ولا استعمار, ط دار الكتاب اللبناني, بيروت, بدون تاريخ, ونفص أوهام المادية الجدلية, د/ محمد سعيد رمضان البوطي, ص٥٥–٢٧٤, ط دار الفكر, دمشق, سوريا, ط٣, ١٩٨٥م.

٣) وقد حوكم بالفعل, ثم برأته المحكمة بعد إقتناعها بأنه اعتمد على أقوال لعلماء مسلمين, راجع الوثائق الخاصة بالمحاكمة, وهي ملحقة بكتاب نقد الفكر الديني للعظم.

خلال مذهبه الماركسي بل من خلال بعض النقول عن مصادر لا أقل من أن يقال: إنها لا تعد مصادر أصلية في مباحث العقيدة الإسلامية, بل مصادر تأخذ طابع الشطحات– وقد سبق وأشرت إلى كلام للحلاج وللعز المقدسي– حتى إذا نقده ناقد تعلل بوجود شيء مما يقول في التراث الإسلامي وإن لم يكن قولا سديدا, وهذا لا يتفق مع أصول النقد العلمي الذي ادعاه العظم .

ثانيا: تناقض العظم مع نفسه حين أثبت الجبر والاختيار لإبليس في آن واحد, ولست في حاجة لإعادة عبارته التي قرر فيها أن إبليس كان عليه **أن يختار اختيارا مصيريا بين** واجبه المطلق في التقديس والتوحيد وواجبه في الطاعة الجزئية, **فهو يثبت له اختيارا**, ثم يتناقض مع نفسه حين يستند إلى نقول تفيد أنه كان بلا اختيار , وهي التي أشرت إليها قبل قليل, وهي من قبيل الشطحات التي لا يعتد بها,أو الأقوال المدسوسة علي من نسبت إليهم من أعلام التصوف.

ثالثا: رد إشكالية الجبر من واقع القرآن الكريم

وهذا التناول للمسألة من خلال القرآن الكريم– رغم عدم إيمان العظم به– له ما يبرره؛ لأنه استشهد في سياق القصة بالقرآن الكريم, فكان لزاما أن ننظر في السياقات المتعددة التي أوردها القرآن الكريم لقصة آدم وإبليس التي تدل على أن إبليس كان يناقش ويحاور بكل حرية وأريحية؛ الأمر الذي

يتلاشى معه الادعاء أنه مقهور أو مجبور, ومن جهة أخرى تدل نصوص القرآن على مركزية دور العبد المخلوق في سلوك مسالك الهداية أو الضلالة, فالقرآن يفسر بعضه بعضا, وأكثر ما يضل به الناس هو اجتزاء النصوص وانتقاء الأدلة, في حين لو انصف الباحث ووضع النصوص الواردة في الموضوع الواحد وأعملها جميعا, لانتهى إلى معرفة صحيحة, وأكتفي ببعض النماذج القرآنية؛ لأن النصوص كثيرة, قال تعالى:(**مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**)(١), وقال: (**فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**)(٢), والله –سبحانه– حينما أثبت مشيئته التي لا تتخلف **ولا تخرج عنها مشيئة الخلائق إنما أراد أن يعلم العباد أنه –فقط– لا يحدث في كون الله شيئ رغما عنه؛ لكماله المطلق**, بغض النظر عن موافقة ذلك للأمر الشرعي من عدمه؛ فهو محل الابتلاء ومحل اختيار العبد, فالكفر والمعصية –بما في ذلك معصية إبليس– غير خارجين عن مشيئة الله كونا على المعنى الذي ذكرت, ولا يرضاهما ولا يأمر بهما شرعا, قال تعالى:(**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**)(٣), وقال سبحانه:(**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**)(٤), وكذا

---

١) سورة الإسراء: آية ١٥.

٢) سورة الكهف: آية ٢٩.

٣) سورة الزمر: آية ٧.

٤) سورة الإنسان: آية ٢٩.

نفى الله في كتابه أن يكون قد أراد إكراه الناس على حالة بعينها, قال تعالى: **(وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)**([1]),**(وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)**([2]),وعلم الله السابق والكتابة السابقة- كذلك- لا جبر معهما؛ لأن العلم صفة كشف وليس صفة تأثير([3]), وتوفيق الله للطائع وخذلانه للعاصي ما هو إلا نتيجة لفعل العبد لا منشئ له على جهة القهر؛ قال تعالى:**(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**([4]), وقال: **(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)**([5]), وما ذكرناه في التوفيق أو الخذلان ينطبق على آيات الختم والطبع وكذا آيات إرادة الغواية أو الهداية كقوله تعالى: **(خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ)**([6]), وقوله: **(وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن**

---

[1]) سورة يونس:آية ٩٩.

[2]) سورة الأنعام: آية ١٠٧.

[3]) وقد أخطأ بعض المفكرين حينما اعتقدوا أن العلم السابق من المعضلات في مسألة الجبر وأن لا مخرج منها إلا بالقول بوحدة الوجود؛ وهذا باطل؛ لأنه لا تلازم بينهما, ومن هؤلاء محمد إقبال, راجع : تجديد الفكر الديني في الإسلام, محمد إقبال, ترجمة محمد يوسف عدس, ص١٣١-١٣٦, دار الكتاب اللبناني, بيروت, لبنان, ط٢٠١١م.

[4]) سورة محمد: آية ١٧.

[5]) سورة الليل: الآيات من ٥-١٠.

[6]) سورة البقرة: آية ٧.

يُغْوِيَكُمْ)([1]), قوله: (**وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ**)([2]), وقوله:(**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)([3]), وربط الله سخطه على الكافرين بفعلهم أنفسهم, قال تعالى: (**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**)([4]), ويعزز هذا الفهم أن سياق الآيات السابقة واللاحقة لهذه النصوص تدل على أن المستهدفين فيها مارسوا ممارسات باختيارهم انتهت بهم إلى هذا المصير من الغواية والضلالة أو الرشد والهداية([5]).

ثالثا: معصية إبليس بين الجبر والاختيار

ابتلى الله إبليس بأمر السجود لآدم على سبيل الامتحان له, كما امتحن الأمم جميعا بالأوامر والنواهي, ولكنه تعالى بعنصره وتكبر, وجعل الله له– كسائر العباد– قدرة على الطاعة والمعصية من جهة الكسب لا الإيجاد,

---

[1])سورة هود: آية ٣٤.

[2]) سورة المائدة: آية ٤١.

[3]) سورة الأعراف: آية ١٧٨.

[4]) سورة المائدة: آية ٨٠.

[5]) أحيل القاريء إلى مرجعين مهمين في هذا الموضوع: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية,حيث تناول في الباب الرابع عشر الكلام عن الهدى والضلال ومراتبهما, وفي الخامس عشر عن الطبع والختم, راجع: شفاء العليل, ١/٦٥–١٠٩, دار المعرفة، بيروت، لبنان, ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م, وحرية الإنسان في الفكر الإسلامي, د/ فاروق دسوقي, الفصل التاسع من ص٤٣٧– ٤٤٧, دار الدعوة, الإسكندرية, بدون تاريخ .

وهو مذهب أهل السنة, فأفعال العباد من الله خلق, ومن العبد اكتساب([1]), والكسب مصطلح قرآني, قال تعالى: (**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**)([2]), وبموجب الكسب يكون اختيار العبد لصفة الفعل الاختياري من جهة الحل أو الحرمة, وقد رفض العظم مسألة الكسب بل وانتقصها([3])؛ لأنه غير مؤمن بها أصلا, وأولى به – بدلا من ذلك– أن يعرض للأدلة القرآنية الكثيرة التي تثبت اختيار العباد في أفعالهم غير الاضطرارية, وبموجب ذلك يحاسبون, ولو لم تعجبه فكرة الكسب, ففي رأي المعتزلة سعة لو أراد أن يتكلم بشكل جاد في المسألة؛ حيث قالوا بأن العبد خالق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه([4]), وهو ما حبذه بعض النقاد([5]), وعليه لم يكن إبليس مجبورا على عصيان الأمر الإلهي كما زعم العظم, بل كانت لديه فرص متكافئة للطاعة والعصيان, ولكنه اختار العصيان, وهذا يعني أن العظم كان مغرضا

[1]) الكسب عند أهل السنة هو تعلق القدرة الحادثة, وقيل هو الإرادة الحادثة, انظر: أرجوزة جوهرة التوحيد, القسم الثاني, ص١٧. (مرجع سابق).

[2]) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

[3]) انظر سخرية العظم من الكسب في كتابه: نقد الفكر الديني, ص١٤٤, (مرجع سابق).

[4]) ناقش اليافعي مذهب المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد نقاشا مطولا مفيدا, راجع: مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة, عبد الله بن أسعد اليافعي, تحقيق: محمود محمد نصار, ص٧١–١٠٥, دار الجيل , بيروت, ط١, ١٩٩٢م.

[5]) راجع: هوامش على كتاب نقد الفكر الديني, ص٨٢, (مرجع سابق), وكاتبه شيعي ولا يخفى تأثر الشيعة بآراء المعتزلة.

وغير منصف حين ادعى أن إبليس ضحية التعارض بين الإرادة والأمر الإلهيين.

النقطة الرابعة: نقد تطلع د/ العظم إلى نهاية سعيدة لإبليس

بنى العظم تطلعه على ثلاثة بنود: **أولها** أثبتنا فساده, وهو البند المتعلق بأن إبليس تمسك بالتوحيد الخالص؛ والحق أن رفض إبليس للأمر الإلهي يتعارض مع مقتضى التوحيد, وعليه فإن استدلاله بالحديث القدسي المذكور سلفا ليس له محل, فضلا عن ضعف الحديث من جهة الإسناد.

وأما البند الثاني, وهو ادعاء العظم نجاح إبليس في الامتحان والابتلاء بالصبر عليه, فهو ادعاء فاسد؛ لأن إبليس لم ينجح في الابتلاء؛ لأنه عصى الأمر الإلهي, وقياس العظم لحالة إبليس على قصة إبراهيم عليه السلام قياس فاسد؛ لأن الخليل عليه السلام أطاع الأمر الإلهي بخلاف إبليس الذي عصى الأمر ورفضه, **وحيث اختلف الحال تختلف النتيجة,** فكوفيء الخليل بأن الله نجى ولده الذبيح إسماعيل (وليس إسحاق كما ادعى العظم)([1]), قال تعالى: **(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ**

[1]) نقد الفكر الديني, صفحات ١١٣, ١١٥,١١٦.

أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)([1]), في حين عوقب إبليس باللعن, **وأما استدلاله بالحديث في جزاء الصبر على الابتلاء, ففي غير محله؛ لأن الابتلاء الذي يؤجر الصابرون عليه هو الذي لا دخل لهم فيه ألبتة كالمرض والحوادث, وليس كذلك ما تسبب العبد فيه**؛ فاللص ٠على سبيل المثال- الذي تعرض لعقوبة السجن لا ينبغي أن يتوقع تكريما لصبره على محنة السجن؛ لأنه مجرم مستحق للعقوبة, **ولكن مشكلة العظم تكمن في نظرته الفلسفية المتعالية للقصة القرآنية بصورة سوغت له أن يخضعها للنقد المسرحي, والمقارنة بينها وبين قصص تناولت أبطالا مأساويين عانوا تناقض الدنيوي والأزلي**- من وجهة نظر مؤلفيها- كما في قصة أنتيجونا وكريون([2]), ويسقط حالة التناقض تلك على قصة الخليل عليه السلام ولكن مع رد التناقض -بين الواجب الأخلاقي والأمر الإلهي- إلى الأمر الإلهي ذاته, معتمدا في ذلك كلام الوجودي الدانماركي سوؤين كيركيجورد ت (١٨٥٥م) في كتابه (خوف

[1]) سورة الصافات: آيات من ١٠٢-١٠٧.

[2]) خلاصتها أن أنتيجونا خالفت أمر كريون بأن دفنت أخاها القتيل الذي كان يثير القلاقل ضد كريون فنالت عقابها, وعللت المخالفة بأن أمر كريون المعبر عن السلطة الزمنية يتعارض مع إرادة الآلهة اليونانية وعلى رأسهم زوس, فعاقبها بعقوبة الموت, راجع: من الأدب التمثيلي اليوناني سوفوكليس, ص١٨٥- ١٩٥ ,(مرجع سابق).

ورعدة)([1]) الذي يعتبر استجابة إبراهيم الخليل لأمر ربه في ذبح ولده انحرافا أخلاقيا يتعارض مع واجب الأبوة وعاطفتها, ويطبق حالة التناقض تلك أيضا على حالة إبليس باعتباره بطلا مأساويا عانى مأساة الغربة([2]) ومأساة المصير([3]) معا بسبب ما تعرض له من تناقض الأمر الإلهي مع المشيئة الإلهية, وقد سبق بيان كذب هذا الزعم في النقطة السابقة, وبعد رد صورة البطل المأساوي التي تخيلها العظم لإبليس؛ لاعتمادها على مقدمة فاسدة هي: تناقض مزعوم بين الأمر الإلهي والمشيئة الإلهية, فإنا نرد– كذلك– النتيجة التي وصل إليها العظم, وهي أن المأساة في المنظور الديني لا تدوم للصالحين بمعنى أن الله كماعوض أيوب عن صبره خيرا, فسوف لا يديم مأساة إبليس, بل ستنتهي يوما من الأيام, **وكلام العظم صحيح في حق**

---

[1]) وقد اسماه العظم الخوف والقشعريرة, ويبدو أن عنوان الكتاب اختلف باختلاف المترجم مع أنه واحد, راجع: خوف ورعدة, سورين كيركيجورد, ترجمه من الدانماركية إلى الإنجليزية وولتر ووري, وترجمة من الإنجليزية للعربية فؤاد كامل, ص٧٤–٧٨, سلسلة نصوص فلسفية (١٣), ط دار الثقافة للنشر والتوزيع, ١٩٨٤م.

[2]) والعظم يقيس ذلك في قصة إبليس على أعمال أدبية عالمية كأعمال الشاعر الإنجليزي جون ملتون ت(١٦٧٤م) وأهمها: الفردوس المفقود التي تناول فيها قصة الشيطان وهبوط آدم وحواء, ورواية الغريب للروائي الفرنسي ألبير كامو ت(١٩٦٠م) , وأعمال دستوفسكي الروائي الروسي ت(١٨٨١م) مثل الإخوة كرامازوف والجريمة والعقاب والأبله والشياطين, وأعمال الروائي التشيكي الجنسية الألماني كتابة وتأليفا اليهودي فرانس كافكا ت(١٩٢٤م) الكابوسية الغرائبية مثل: المسخ, والمحاكمة, والقلعة, وتعتبر كتاباته رمزا للكتابات الحداثية السوداوية والعبثية, وهذا يؤكد عدم أصالة أفكار العظم .

[3]) يعتبر د/ العظم مسرحية روميو وجولييت لشكسبير ومسرحية الملك أوديب أروع ما كتب في مأساة المصير, انظر: نقد الفكر الديني, ص ١٠٥.

الصالحين- الذين يثابون بصبرهم ولو بعد موتهم-, وليس من بينهم إبليس, لذا حق عليه ما حق على الكافرين الذين قال الله فيهم: **(وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ)**([1]).

وأما البند الثالث, فهو تصوره إبليس تائبا, وهذا التصور أخذه العظم من قصة المجرم في رواية الغريب للروائي الفرنسي ألبير كامو الحائز على جائزة نوبل في الأدب ١٩٥٧م, وتوفي(١٩٦٠م), ويتناول الفصل الثاني منها تورط الشاب الفرنسي ذي الأصل الجزائري بجريمة قتل لأحد الأشخاص الذي كان يتربص بصديق له, ثم حوكم, وقبيل النهاية يقوم على زيارته أحد القساوسة طلبا لعودته إلى الإيمان, ورغم إصرار القس وتكرار المحاولات باءت جميعها بالفشل([2]).والعظم يصر على نجاة إبليس إصرار القس على توبة القاتل في تلك الرواية.

وأخذه العظم- كذلك- من قصة قصيرة للأديب المصري الراحل توفيق الحكيم ت(١٩٨٧م), بعنوان الشهيد, **وهذا الطرح لتوفيق الحكيم لا يعدو أن يكون خيالات أديب لا رصيد لها من الواقع والحقيقة, وبالتالي يكون تعويل العظم عليها غير سديد, وبما أن العظم تناول القصة من خلال القرآن**

[1]) سورة الانفطار: آية ١٦.

[2]) راجع: الغريب, ألبير كامو, ترجمة محمد آيت حنا, الفصل الثاني من ص٧٢ لآخر الرواية, ص١٣٢-١٤٠, وفيها تفاصيل محاولات القس, منشورات الجمل, بغداد وبيروت, ط١, ٢٠١٤م.

الكريم, كان عليه أن ينتبه لأمر مهم وحاسم في تلك المسألة, ألا وهو: أن إبليس لو سبق في علم الله أنه يتوب أو تحدثه نفسه بالتوبة لما لعنه؛ فكما أن أبا لهب تبت يداه في الجحيم مخلدا بنص سورة المسد, التي نزلت وهو حي, ثم مات دون أن يسلم, ولو علم الله أنه يسلم, لما حكم عليه بذلك, فكذلك إبليس تعالى على الأمر الإلهي, ولو علم الله أنه يتوب لما لعنه في القرآن العظيم, ولكن لا حيلة لنا مع من ينصب من نفسه حكما على الله –حاشاه– إلا أن نذكره بأن الله **(يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**([1]).

[1]) سورة الرعد: آية ٤١.

المبحث الثالث:

تطاول العظم على الذات الإلهية ونقده

أراد العظم أن يفسر –كناقد–لماذا صار إبليس إلى ما صار إليه, فاستباح لنفسه أن يتطاول على الذات الإلهية, فطرح عدة أسئلة انتهى معها إلى التطاول على رب العالمين, وسوف أستعرض ذلك في المطلب التالي.

المطلب الأول: تساؤلات العظم وتطاوله على الذات الإلهية

يتوج العظم عمله بطرح تساؤلات يصب أكثرها في جانب الجبر المزعوم, ويستنتج منها الإجابة التي تستهويه, يقول العظم : (١- عندما طرحت السؤال، لماذا أمر إبليس بالسجود لآدم، أجبت عليه بقولي: لأن الله أراد أن يجربه ويبتليه كما جرب إبراهيم وأيوب من بعده, والسؤال الذي يبرز أمامنا الآن هو: لماذا يبتلي الله ملائكته وعباده وهو العليم بكل ما يظهرون وما يبطنون؟ هل باستطاعتنا مثلاً أن نحدد صفة من الصفات الإلهية التي تدعو

الله لأن يجرب عباده؟ أو بالأحرى إلى أية صفة من صفات الذات الإلهية يجب أن ننسب هذا الميل إلى ابتلاء العباد؟

٢. لمَّا ميزنا بين المشيئة والأمر في مطلع هذا البحث ذكرنا أن الله يأمر أحيانًا بشيء بينما يكون قد شاء تحقيق شيء آخر, ترى هل من تعليل ديني لهذه المفارقة في تصرفات الإله؟

٣. رأينا أن إبليس واقع في قبضة قهره، خاضع خضوعًا تامًا لقدره وأحكام مشيئته، شأنه في ذلك شأن بقية المخلوقات، مما يبطل مفعول الأمر والنهي؟ بالإضافة إلى ذلك، **قدَّر الله منذ الأزل من هم أصحاب الجنة ومن هم أصحاب النار**. والأدلة الدينية على ذلك عديدة أورد منها– على سبيل المثال لا على سبيل الحصر– الحديث القدسي: "**إن الله تعالى قبض قبضة فقال هذا إلى الجنة برحمتي ولا أبالي، وقبض قبضة فقال هذا إلى النار ولا أبالي**"([1]). ولكن بالرغم عن ذلك أنزل الله الكتب وأرسل الرسل وشحنها بالأمر

[1]) من حديث أنس رضي الله عنه, قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رقم(١١٧٨٠): رواه أبو يعلى وفيه الحكم بن سنان الباهلي, قال أبو حاتم: عنده وهم كثير وليس بالقوي ومحله الصدق يكتب حديثه, وضعفه الجمهور،وبقية رجاله رجال الصحيح, مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي, ٧ /٣٨٦ ,دار الفكر، بيروت, ١٤١٢هـ, وقد علق الإمام المناوي على روايات لهذا الحديث بقوله:(فالعبرة إنما هو بسابق القضاء الإلهي الذي لا يقبل تغييرا ولا تبديلا ولا يناقضه خبر إنما الأعمال بالخواتيم؛ لأن ربطها بها إنما هو لكون السابقة غيبا عنا, والخاتمة ظاهرة لنا فنيطت الأعمال بها بالنسبة إلينا, ومع ذلك فيتعين العمل لآية (فأما من أعطى واتقى) ولا يغتر بإيحاء النفس والشيطان أنه لا عبرة بالعمل بل بالسابقة أو الخاتمة؛ فإنه تمويه= = وإضلال

والنهي وميز بين الحلال والحرام، وما فائدة كل ذلك لمن كان مجبورًا بحكمته ومستعملاً فيما قدره عليه؟

٤. إذا كان الله صانع الأشياء كلها، ومقدر الخير والشر على عباده، لماذا أراد للناس أن يعتقدوا أن إبليس هو سبب الشر والمعصية؟ ولماذا شاء تحميله أوزار أولئك الذين خلقهم للشر وأجرى الشر على يديهم؟ هل باستطاعتنا أن نعلل هذه المفارقة بردها إلى إحدى الصفات الإلهية المعروفة؟ أعتقد أن الصفة الإلهية التي نبحث عنها للإجابة على هذه الأسئلة هي صفة المكر)[١], واستدل لكلامه بآيات قرآنية منها قوله تعالى: **(وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**[٢], وقوله: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**[٣], وقوله: **(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ)**[٤], ويصف الله بالاستهزاء

وغفلة عن وضع الأسباب للمسببات, وأضيف أن من زعم ألا عبرة بالعمل كمن زعم حمل المرأة عادة بغير جماع, راجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير, للإمام زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي, ٣/ ٧, ط دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م, , وقد عزاه العظم للإتحافات السنية, ص٦٨, وهو غير موجود فيه, انظر: نقد الفكر الديني, ص١٢٠, (مرجع سابق).

[١]) نقد الفكر الديني, ص ١٢٠.

[٢]) سورة آل عمران: آية ٥٤.

[٣]) سورة الأنفال: آية ٣٠.

[٤]) سورة يونس: آية ٢١.

مستدلا بقوله تعالى:(**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**)([1]), ويطبق العظم تصوراته على حالة إبليس فيقول: (بإمكاننا القول: إن الله كان يبدي لإبليس من الرضا غير ما شاء له من مصير وأضمر له من قدر ومحنة وخاتمة, أي أنه مكر به فأمره ظاهرًا بالسجود لآدم ولكنه شاء له ضمنًا أن يعصى الأمر حتى يكون له حجة على إبليس ليفعل به ما شاء وينفذ فيه قضائه وقدره. لم يكن أمر الابتلاء إذن سوى أداة المكر الإلهي, غايتها تنفيذ أحكام المشيئة وتبريرها أمام مخلوقاته, فتصبح بذلك مقبولة في أعينهم فلا يكون لهم حجة عليه فيما يفعل بهم)([2]), ويستدل بالحديث القدسي: (إن الله عز وجل يقول: **لا إله إلا أنا، خلقت الخير وقدَّرته، فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير له وأجريت الخير على يديه. أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدَّرته، فويل لمن خلقته للشر وخلقت الشر له وأجريت الشر على يديه**)([3]), ثم يحمل الذات الإلهية جريرة ذلك كله حين قال: (ولكن

---

[1]) سورة البقرة: آية ١٥.

[2]) نقد الفكر الديني, ص١٢٣.

[3])كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال, علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري, تحقيق بكري حياني, صفوة السقا, ١ / ١٢٤, رقم (٥٨٧), ط مؤسسة الرسالة, بيروت, ط٥, ١٩٨١م, وعزاه لاابن النجار عن أبي أمامة رضي الله عنه, وعزاه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء, ح رقم (٤٢٠٢), إلى ابن شاهين في شرح السنة من حديث أبي أمامة بسند ضعيف, انظر: تخريج إحياء علوم الدين المسمى المغني عن حمل الأسفار, للحافظ زين الدين العراقي, تحقيق أشرف عبد المقصود,١١٥٨/١, وعزاه إلى الإحياء ٣٣٥/٤-٣٣٦, دار طبرية , الرياض, ط١, ١٩٩٥م, وراجع : الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية,

من مكره أراد للعباد أن يعتقدوا غير ذلك، وأن ينسبوا النقيصة والقبيحة إمَّا لأنفسهم كما فعل آدم عندما قال: "**ربنا ظلمنا أنفسنا**"، أو إلى تلبيس إبليس وغوايته، وأن ينسبوا الخير والعدل والرحمة إلى الله كما فعل آدم عندما قال: "**وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**([1])". بالإضافة إلى ذلك يحسن للعباد، من الناحية العملية، أن يعتقدوا بصورة عامة أن لله عدوًا اسمه إبليس اللعين هو مصدر الشر والزلَّة والخطيئة، لأنهم لو آمنوا عن حق أن الله هو مصدر بلائهم ومصائبهم التي تحيط بهم من كل جانب لما تحملت عقولهم هذه الحقيقة فيفقدون صوابهم ويكفرون به وبنعمته)([2]).

المطلب الثاني: نقد تطاول العظم على الذات الإلهية.

النقطة الأولى: توجيه الآيات التي استدل بها العظم على اتصافه تعالى بالمكر والاستهزاء

أولا: المكر

لم يتضلع العظم من لغة العرب وأساليبها وبلاغتها ما يؤهله لإدراك الفرق بين ما يراد معناه الحقيقي وما لا يراد من ألفاظ القرآن الكريم؛ لذلك

العلامة زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي زين العابدين الحدادي المناوي, تحقيق عبد القادر الأرناووط وطالب عواد, ح (٥٥) ,ص٧٥, وانظر: نقد الفكر الديني, ص١٢٤, (مرجع سابق).

[1]) سورة الأعراف: آية ٢٣.

[2]) نقد الفكر الديني, ص١٢٥.

أساء الفهم والأدب حينما حمل المكر المسند إلى الذات الإلهية في الآيات التي استشهد بها على معنى لا يليق به تعالى, إذ المكر: (فعل يقصد به ضر أحد في هيئة تخفى عليه، أو تلبيس فعل الإضرار بصورة النفع)([1]), وهذا المعنى **قد يكون خيرا وقد يكون شرا**, والمعنى الأخير يليق باليهود الذين تآمروا لمحاولة اغتيال السيد المسيح عليه السلام؛ حيث جاءت الآية التي استدل بها العظم في سورة آل عمران في سياق الحديث عنهم, ولكن إسناد ذات الفعل إلى الله تعالى يخرجه عن ذلك المعنى إلى معنى آخر؛ لأن أفعاله تعالى منزهة عن الوصف بالقبح أو الشناعة، لأنها لا تقارنها الأحوال التي بها تقبح بعض أفعال العباد؛ من دلالة على سفاهة رأي، أو سوء طوية، أو جبن، أو ضعف، أو طمع، أو نحو ذلك, أي: إن كان في المكر قبح, **فمكر الله خير محض**, ومكر الله بهم في الآية الكريمة هو **تمثيل لإخفاق الله تعالى مساعيهم في حال ظنهم أن قد نجحت مساعيهم، ومعنىٰ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ: أقواهم عند إرادة مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم. وهو هنا من قبيل المشاكلة**([2]), والمشاكلة مصطلح بلاغي يعرفه علماء البلاغة على هذا

[1]) التحرير والتنوير, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي, ٣/ ١٠٦, مؤسسة التاريخ العربي، بيروت, لبنان, ط١, ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م, وقد أسماه البعض مزاوجة, راجع: النكت والعيون(تفسير الماوردى), أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري, تحقيق: سيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم, ١/ ٣٩٦, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, بدون تاريخ .

[2]) راجع: التحرير والتنوير, السابق نفس الجزء والصفحة.

النحو: **(ذكر الشيء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها** ... ومنه قوله تعالى:(**ومكروا ومكر الله**)([1]), أي:(يجزيهم جزاء المكر)([2]), ونقل الخطيب القزويني الشافعي ت(٧٣٩هـ) احتمال أن يكون المكر على حقيقته حيث قال:(تجوز بلفظ المكر عن عقوبته؛ لأنه سببها, قيل: ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة؛ لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم, وهذا محقق من الله تعالى باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمة)([3]), وعليه يكون الإملاء والاستدراج منه, وهو ما جوزه صاحب التحرير والتنوير([4]), ولا غضاضة في ذلك؛ (لأنه لا يمكر إلا بخير)([5]), ولكن ينبغي ألا يتجاوز أحد بزعم أنه صفة من صفات الله تعالى؛ لما يشتمل عليه اللفظ من إيهام, ولأن أهل السنة لم يجعلوا ذلك من صفاته تعالى.

وأما قوله تعالى في سورة لأنقال: **(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ)**, فهو تعقيب على مكر المشركيين وتدبيرهم الخفي لقتل أو حبس

---

[1]) طيب المذاق من ثمرات الأوراق, تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة, تحقيق : أبو عمار السخاوي, ص ٣٤٩, باختصار, دار الفتح, الشارقة, ١٩٩٧م.

[2]) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال, أبو عبيد البكري, تحقيق : د / إحسان عباس و د.عبدالمجيد عابدين, ص ١٦٧, ط مؤسسة الرسالة, بيروت, ط٣, ١٩٨٣م.

[3]) الإيضاح في علوم البلاغة, جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني, ص ٢٥٧, دار إحياء العلوم – بيروت, ط٤, ١٩٩٨م.

[4]) التحرير والتنوير, ٣/ ١٠٦,(مرجع سابق).

[5]) صراع مع الملاحدة للميداني, ص٣٤٦, (مرجع سابق).

أو نفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قبل الهجرة, وعليه فالمعنى (وَيَمْكُرُونَ ويخفون المكايد له, وَيَمْكُرُ اللَّهُ ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة, وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ أى: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب)([1]), وذلك لما (أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعا)([2]), وهذه المعاني بعيدة كل البعد عن المكر الذي عناه العظم بعباراته المتطاولة على الذات الإلهية.

أما آية سورة يونس(**قل الله أسرع مكرا**), فتتحدث عن مكر المشركين بآيات الله بعد أن أنعم الله عليهم ورد عنهم القحط, وبدلا من شكر النعمة جعلوا يمكرون بآيات الله, حيث كانوا يوهمون أن آيات القرآن غير دالة على صدق الرسول, ويزعمون أنه لو أنزلت عليه آية أخرى لآمنوا بها. وهم كاذبون في ذلك؛ لأنهم يكذبونه عنادا ومكابرة وحفاظا على دينهم في الشرك, فأمر الله رسوله أن ينذرهم أن الله أسرع مكرا بهم من مكرهم بآيات الله, والمكر هنا أيضا من باب المشاكلة, وأطلق على تأجيل الله عذابهم اسم المكر على

[1]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل, العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى, ٢/٢١٦, دار الكتاب العربي, بيروت, ط ١٤٠٧ هـ .

[2]) السابق, ٣/ ٦٠٣.

وجه الاستعارة التمثيلية؛ لأن هيئة ذلك التأجيل في خفائه عنهم كهيئة فعل الماكر، وحسنته المشاكلة([1]) .

ثانيا: الاستهزاء

استدل العظم– الذي لم تحدثه نفسه بالرجوع لشيء من كتب التفسير المعتمدة– على استهزاء الله–حاشاه– بخلقه بآية سورة البقرة (**الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**)([2]), **وهذا** غير صحيح؛ لأن الله منزه عن ذلك, واللفظ المسند إلى الله لا يراد به معناه الحقيقي؛ (لأن المراد هنا أنه يفعل بهم في الدنيا ما يسمى بالاستهزاء بدليل قوله: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ}, ولم يقع استهزاء حقيقي في الدنيا, فهو إما تمثيل لمعاملة الله إياهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، بما يشبه فعل المستهزئ بهم, وذلك بالإملاء لهم حتى يظنوا أنهم سلموا من المؤاخذة على استهزائهم, فيظنوا أن الله راض عنهم, أو أن أصنامهم نفعوهم حتى إذا نزل بهم عذاب الدنيا من القتل والفضح علموا خلاف ما توهموا فكان ذلك كهيئة الاستهزاء بهم. والمضارع في قوله: {يَسْتَهْزِئُ} لزمن الحال, ولا يحمل على اتصاف الله بالاستهزاء حقيقة عند الأشاعرة؛ لأنه لم يقع من الله معنى الاستهزاء في الدنيا، ويحسن هذا التمثيل

[1]) راجع: التحرير والتنوير, ١١/ ٥٣ بتصرف, (مرجع سابق).
[2]) سورة البقرة: آية ١٥.

ما فيه من المشاكلة. ويجوز أن يكون {يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} حقيقة يوم القيامة بأن يأمر بالاستهزاء بهم في الموقف, وهو نوع من العقاب فيكون المضارع في {يَسْتَهْزِئُ} للاستقبال... ويجوز أن يكون مرادا به جزاء استهزائهم من العذاب أو نحوه من الإذلال والتحقير, والمعنى: يذلهم, وعبر عنه بالاستهزاء مجازا ومشاكلة، أو مرادا به مآل الاستهزاء من رجوع الوبال عليهم. وهذا كله وإن جاز, فقد عينه هنا جمهور العلماء من المفسرين كما نقل ابن عطية ت (٥٤٢هـ) ([1]) والقرطبي ت(٦٧١هـ) ([2]), وعينه الفخر الرازي ت (٦٠٦هـ)([3]) والبيضاوي ت (٦٨٥ هـ) ([4]), وعينه المعتزلة أيضا؛ لأن الاستهزاء لا يليق إسناده إلى الله حقيقة؛ لأنه فعل قبيح ينزه الله تعالى عنه كما في الكشاف([5])

[1]) المحرر الوجيز, الإمام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي, ١ / ٣٢ , نسخة إلكترونية, الشاملة.

[2]) الجامع لأحكام القرآن, الإمتم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, تحقيق: سمير البخاري, ١ / ٢٠٧, دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية, ط ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م, وفي ص٢٠٨ من نفس الجزء: يفتح لهم باب جهنم من الجنة ، ثم يقال لهم : تعالوا ، فيقبلون يسبحون في النار ، والمؤمنون على الأرائك – وهي السرر – في الحجال ينظرون إليهم ، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم ، فيضحك المؤمنون منهم ، فذلك قول الله عز وجل : {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} أي في الآخرة ، ويضحك المؤمنون منهم حين غلقت دونهم الأبواب .

[3]) مفاتيح الغيب, أو التفسير الكبير, الإمام : محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى, ٢ / ٣٠٩, (مرجع سابق)

[4]) تفسير البيضاوى المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل, الإمام ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي البيضاوي, ١ / ١٧٨, ١٧٩, ط دار الفكر, بيروت, بدون تاريخ.

[5]) الكشاف, ١ / ٦٦, (مرجع سابق).

وهو مبني على المتعارف بين الناس)([1]), وعليه فإن التصور الغريب الذي عبر عنه العظم في عباراته السابقة غير صحيح على الإطلاق.

النقطة الثانية: توجيه الأحاديث التي استدل بها العظم

أولا: توجيه الحديث الأول

رغم أن في سند الحديث مقالا كما سبق عند ذكره , إلا أن ذلك لا يمنعنا من توجيهه على فرض صحته ولو جدلا, ومن هنا أقول: إن كلام بعض المعلقين والشراح على حديث القبضتين يعزز إشكالية الجبر التي أثارها العظم, فقد نقل الإمام المناوي ت (١٠٣١هـ)- مثلا- كلام بعض العلماء في هذا الحديث كالبيضاوي الذي قال: (وفيه أن الثواب والعقاب لا لأجل الأعمال, **بل الموجب لهما هو اللطف الرباني والخذلان الإلهي المقدر لهم وهم في أصلاب آبائهم, بل وهم وآبائهم وأصول أكوانهم بعد في العدم**)([2]), ولكن هذا وأشباهه راجع لمنتهى التسليم لله سبحانه, الذي **(لا يُسْأَلُ**

[1]) التحرير والتنوير, ١ / ٢٩٠, (مرجع سابق).

[2]) فيض القدير, للمناوي, ٢/ ٢٩٨, (مرجع سابق).

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)[1] و (**لا معقب لحكمه)**[2], ولم يخطر ببالهم أن يتطاول أحد كتطاول العظم على الذات الإلهية, والإمام البيضاوي أشعري يسلم بالكسب الذي بموجبه يحاسب العباد, وقال في تفسير قوله تعالى: **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)**[3]: لا (يكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله)[4], وتزول الإشكالية زيادة –على ذلك– بتقرير أن حديث القبضتين يدل على أن الله – سبحانه اسنخرج من ظهر آدم ذريته وأخذ عليهم العهد والميثاق– وهم في عالم الذر– أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا, وعلم أزلا– لكماله سبحانه المطلق دون قهر أو جبر لأحد منهم– من يختار سبيل المؤمنين, ومن يختار سبل المجرمين, فكان الأولون أهل القبضة الأولى إلى الجنة, والآخرون أهل القبضة الثانية إلى النار, وهذا الفهم يتفق مع قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**[5], وهذا يتفق مع

---

[1]) جزء من آية ٢٣ من سورة الأنبياء.

[2]) جزء من آية ٤١ من سورة الرعد.

[3]) جزء من آية ٤٩ من سورة الكهف.

[4]) تفسير البيضاوي, ٣ / ٥٠٣, (مرجع سابق).

[5]) سورة الأعراف: الآيات ١٧٢–١٧٤.

العدل الإلهي, وقد نفى سبحانه الظلم عن نفسه, ففي الحديث القدسي الجليل : « **يَا عِبَادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِى إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ** »(١), والحديث في غاية الوضوح؛ حيث يجعل للعبد مسؤولية كاملة عن أعماله, دون أن تجبره آلية العلم بهذه الأعمال أو إحصائها على فعل أو

١) أخرجه الإمام مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه, انظر: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم, الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري, ٤٦– كتاب البر والصلة والآداب, ١٥– باب تحريم الظلم, ح زقم (٦٧٣٧), ٨/ ٢ , دار الجيل بيروت , دار الأفاق الجديدة . بيروت.

ترك. ولو أن العظم كان يحترم عقل القاريء لجمع النصوص دون انتقائها, ولكنه دلس على القاريء المسلم البسيط الذي لا يمتلك أدوات النقد والتحليل والمقارنة, ليصيبهم بلوثة الإلحاد التي أصابته.

توجيه الحديث الثاني:

الحديث ضعيف أيضا, وعلى فرض صحته ينبغي أن نفهمه على نحو صحيح؛ فنعتقد أن جميع **أفعال العباد الاختيارية: بخيرها وشرها من الله – تعالى- خلقا وإيجادا, ومن العباد فعلا واكتسابا, وبموجب الكسب يأتي الفعل باختيار العبد, وبناء عليه يكون الثواب أو العقاب, وكل ذلك لا يخرج عن علم الله السابق**, الذي يفسر ما ورد في الحديث أنه تعالى خلق الخير وقدَّره، فطوبى لمن خلقه للخير وخلق الخير له وأجرى الخير على يديه, وخلق الشر وقدَّره، فويل لمن خلقه للشر وخلق الشر له وأجرى الشر على يديه.

النقطة الثالثة: الرد على تساؤل العظم عن سبب ابتلاء العباد

يسهل أن أجيب على تساؤله, لماذا يبتلي الله عباده([1]) وهو العليم بكل ما يظهرون وما يبطنون؟ بأن العقل الذي هو مناط المؤاخذة والإثابة والمعاقبة هو محل الابتلاء, وأهواء العباد وعقولهم تتفاوت وإراداتهم تتنازع,

[1]) الملائكة خارج دائرة الابتلاء لا كما تصور العظم؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

فبعضهم يختار سبيل الرشاد من جهة الاعتقاد والسلوك, ومنهم من يتبع الهوى فيتنكب طريف الهداية ويسقط في وحل الغواية وظلم العباد, وعلم الله السابق لا يؤثر في اختياراتهم, وعليه يكون التصور العبثي المفعم بالظلم معدوما ولا وجود له إلا في ذهن العظم, ومن هنا كان الابتلاء بالأمر والنهي , قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**)([1]), وقال: (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**)([2]), **وأما الابتلاء بالمصائب من مرض وغيره مما لا دخل للإنسان فيه**, فهو امتحان وابتلاء مرتبط بطبيعة الحياة على الأرض؛ فهي حياة لا خلود فيها, (**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)([3]), ويكافيء الله أهل الصبر على الابتلاء, قال تعالى:(**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**)([4]).

---

[1]) سورة هود: آية ٧.

[2]) سورة الملك: آية ٢.

[3]) سورة العنكبوت: آية ٦٥.

[4]) سورة البقرة : الآيات من ١٥٥-١٥٧.

النقطة الرابعة: الرد على تساؤل العظم عن لماذا إبليس اللعين وحده مصدر الشر والزلَّة والخطيئة

أقول: صحيح أن القرآن أثبت عداوة إبليس لآدم وذريته, قال تعالى: **(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)**([1]), وأثبت وسوسته وعداوته لآدم وذريته, **ولكن القرآن لم يقل إن إبليس وحده مصدر كل شر؛ بل وصف كيده بالضعيف حين قال: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)**([2]), **وذكر اعتراف الشيطان نفسه بذلك حين قال: (وقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**([3]), **وأثبت القرآن مصادر أخرى نابعة من الإنسان ذاته؛ كنفسه الأمارة بالسوء**, قال تعالى: **(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**([4]), وهي التي تأمره باتباع الهوى, **(فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**

---

[1]) سورة فاطر : آية ٦.

[2]) سورة النساء: آية ٧٦.

[3]) سورة إبراهيم. آية ٢٢.

[4]) سورة يوسف: آية ٥٣.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)([1]), واتباع الهوى سبب الضلال, قال تعالى: **(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**([2]), وعليه فالتصور الذي بنى عليه العظم فكرته تصور خاطيء لا رصيد له من الصحة.

النقطة الخامسة: الرد على تساؤل العظم عن التفسير الديني لمخالفة المشيئة الإلهية للأمر والإرادة الشرعية

يتساءل العظم : كيف يأمر الله أحيانًا بشيء بينما يكون قد شاء تحقيق شيء آخر؟ والإجابة في غاية البساطة بعيدا عن التصور الجبري العبثي للعظم, وهي أن هناك فرقا بين المشيئة أو الإرادة الكونية وبين الأمر الشرعي الذي هو أساس التكليف والابتلاء, والعبد –باختياره– يستطيع موافقة الأمر الشرعي والإرادة الشرعية, ويستطيع مخالفتها أيضا باختياره, وهذه الاختيارات الحرة غير خارجة عن مشيئة الله الكونية؛ لأنه لا يقع في كون الله شيئ رغما عنه.

فالقسمة رباعية: شاء الله كونا وأمر ورضي– شاء كونا وأمر ولم يرض– شاء كونا ونهى ورضي– شاء كونا ونهى ولم يرض), وبيان ذلك:

[1]) سورة النازعات: ٢٧–٤١.

[2]) سورة القصص: آية ٥٠.

أن العبد إذا استجاب للأمر والنهي الإلهيين, فمسلكه شاءه الله كونا وأمر به ورضي عن مسلك صاحبه, وأما إن خالف العبد الأمر والنهي الإلهيين, فمسلكه شاءه الله كونا, ولم يأمر به شرعا ولم يرضه, وهذا المعنى واضح تماما في قول الله تعالى: **(ن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)**([1]),, وهذا هو الحق الذي نؤمن به وندعو إليه, **(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى** تُصْرَفُونَ)([2]).

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في فكر د/ صادق جلال العظم يمكن استخلاص مجموعة من النتائج والتوصيات غلى النحو التالي.

أولا: النتائج

[1]) سورة الزمر.: آية ٧.

[2]) سورة يونس: آية ٣٢.

- يعتبر كتاب نقد الفكر الديني لصادق جلال العظم من الكتب الخطيرة على عقول الشباب؛ لما يظنه القاريء الساذج من جدية الطرح وما هو بذلك.
- أفكار العظم عن مأساة إبليس مستوحاة من الأدب العالمي والمحلي ومن المستشرقين.
- قامت أفكار العظم في قصة إبليس على فرية الجبر التي تعامل معها العظم على أنها حقيقة مسلمة وما هي بذلك.
- خلط العظم حلطا واضحا بين الأسطورة والفكرة الدينية ولم يكن أمينا في التعامل مع المصادر الإسلامية؛ حيث انتقى من الأقوال الشاذة والأدلة الجزئية ما يخدم فكرته الفاسدة.
- تجاوز العظم فاتهم الذات الإلهية بما لا يليق كالمكر والاستهزاء والسخرية من عباده الأبرياء, متجاوزا لغة العرب وبلاغتها جهلا أو عمدا.
- انطلق العظم من منطلق مادي ماركسي بحت؛ لذلك اعتبر قصة إبليس أسطورة من الأساطير.
- توقع العظم نهاية مغايرة لما نص عليه القرآن مستندا إلى أوهام وخيالات الأدباء كتوفيق الحكيم .

- برر العظم رفض إبليس السجود لآدم بمبررات فاسدة يدحضها العقل والنقل.

ثانيا: التوصيات

- يوصي الباحث بإجراء مزيد من الدراسات لتفنيد شبهات الماديين والملحدين؛ لأن كتاباتهم رغم مرور عشرات السنين عليها لا زلنا نرى تأثيرها في أسئلة الشباب عن شبهاتهم.
- يوصي الباحث بتخصيص قناة تلفزيونية يشرف عليها الأزهر الشريف تمارس دورها الدعوي والدقاعي لحماية المجتمع من لوثات الإلحاد والأفكار المنحرفة على كافة الأصعدة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم كلام رب العالمين

ثانيا: أخرى

١- إبليس, عباس محمود العقاد, شركة ومكتبة نهضة مصر, القاهرة, ط٣, ٢٠٠٥م.

٢- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية, العلامة المناوي, تحقيق عبد القادر الأرناووط وطالب عواد, دار ابن كثير للطباعة والنشر, دمشق وبيروت, ط٢, ٢٠٠٥م.

٣- إحياء علوم الدين, للإمام أبي حامد الغزالي, ط دار المنهاج, السعودية, ط١, ٢٠١١م.

٤- أرجوزة جوهرة التوحيد للإمام اللقاني مع شرحها تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم الباجوري, تقديم وتعليق لجنة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر, القسم الثاني, مطبعة جامعة الأزهر.

٥- أرني الله, توفيق الحكيم, دار مصر للطباعة, القاهرة, بدون تاريخ.

٦- الأعلام, خير الدين الزركلي, دار العلم للملايين, بيروت, ط١٥, ٢٠٠٢م.

٧- الأعمال الكاملة للعقاد, ج١٣, كتاب: الشيوعية والإنسانية, وكتاب: لا شيوعية ولا استعمار, ط دار الكتاب اللبناني, بيروت, بدون تاريخ.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوى), الإمام ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي البيضاوي, ط دار الفكر, بيروت, بدون تاريخ.

٩- الإيضاح في علوم البلاغة, جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني, دار إحياء العلوم, بيروت, ط٤, ١٩٩٨م.

١٠- بحوث ومقالات, د/ سليمان دنيا, هدية مجلة الأزهر, عدد شعبان ١٤٤٣هـ .

١١- البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني, جابر حمزة فراج, دار الآفاق الجديدة, بيروت, ط٢, ١٩٨٢م.

١٢- تجديد الفكر الديني في الإسلام, محمد إقبال, ترجمة محمد يوسف عدس, دار الكتاب اللبناني, بيروت, لبنان, ط٢٠١١م.

١٣- التحرير والتنوير, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي, مؤسسة التاريخ العربي، بيروت, لبنان, ط١, ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

١٤- تخريج إحياء علوم الدين المسمى المغني عن حمل الأسفار, للحافظ زين الدين العراقي, تحقيق أشرف عبد المقصود, دار طبرية , الرياض, ط١, ١٩٩٥م.

١٥- تفسير ابن أبي حاتم المسمى تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين, للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي, تحقيق أسعد محمد الطيب, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت, د.ت.

١٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني, عبد الرزاق بن همام الصنعاني, ط دار الكتب العلمية, بيروت, ط١, بدون تاريخ.

١٧- تفسير مقاتل بن سليمان, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ٢٠٠٣م.

١٨- تفليس إبليس, العز بن عبد السلام المقدسي, تحقيق سليم الهلالي, ط دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ط٢, ١٩٩٢م.

١٩- تمهيد للفلسفة, د/ محمود حمدي زقزوق, مكتبة الإيمان, ط٢, ٢٠١٧, القاهرة.

٢٠- تهافت الفكر الجدلي وقضايا معاصرة, د/ عب اللطيف الفرفور, دار المعرفة, دمشق, ط١, ١٩٨٨م.

٢١- تهافت الفلاسفة له, تحقيق:د/ سليمان دنيا, المسألة, ط٦ دار المعارف, القاهرة, د.ت

٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن, للإمام محمد بن جرير الطبري, تحقيق أحمد شاكر, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط١, ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٣- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم, الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري, دار الأفاق الجديدة . بيروت.

٢٤- حرية الإنسان في الفكر الإسلامي, د/ فاروق دسوقي, دار الدعوة, الإسكندرية, بدون تاريخ .

٢٥- خوف ورعدة, سورين كيركيجورد, ترجمه من الدانماركية إلى الإنجليزية وولتر ووري, وترجمة من الإنجليزية للعربية فؤاد كامل, سلسلة نصوص فلسفية (١٣), ط دار الثقافة للنشر والتوزيع, ١٩٨٤م.

٢٦- دائرة المعارف الإسلامية, فنسنك وآخرون, الجزء الأول, مطبعة الشعب, القاهرة, ط٢, ١٩٦٩م , وطبعة دار المعرفة, ج١٤, بيروت, لبنان, بدون تاريخ .

٢٧- رسالة أضحوية في أمر المعاد للشيخ الرئيس(ابن سينا), نحقيق د/ سليمان دنيا, دار الفكر العربي, مصر, ط١, ١٩٤٩م .

٢٨- السياسة المدنية, الملقب بمباديء الموجودات,أبو نصر الفارابي ص٨٢, تحقيق: د/ فوزي سري نجار, المطبعة الكاثوليكية, بيروت, لبنان, ١٩٦٤م.

٢٩- شفاء العليل, دار المعرفة، بيروت، لبنان, ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣٠- صراع مع الملاحدة حتى العظم, ,ط دارالقلم, دمشق, ط٥, ١٩٩٢م.

٣١- الطواسين, الحسين بن منصور الحلاج, دون بيانات أخرى.

٣٢- طيب المذاق من ثمرات الأوراق, تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة, تحقيق : أبو عمار السخاوي , دار الفتح, الشارقة, ١٩٩٧م.

٣٣- عالم الملائكة الأبرار, د/ عمر سليمان الأشقر, مكتبة الفلاح, الكويت, ط٣, ١٩٨٣م.

٣٤- الغريب, ألبير كامو, ترجمة محمد آيت حنا, منشورات الجمل, بغداد وبيروت, ط١, ٢٠١٤م.

٣٥- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال, أبو عبيد البكري, تحقيق : د.إحسان عباس و د.عبدالمجيد عابدين, ط مؤسسة الرسالة, بيروت, ط٣, ١٩٨٣م.

٣٦- في الشعر الجاهلي, د/ طه حسين, تقديم ودراسة سامح كريم, ط الدار المصرية اللبنانية, بدون تاريخ.

٣٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير, للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي, ط دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٣٨- قراءة تنويرية في إرث المفكر السوري الراحل صادق جلال العظم, أوس داوود يعقوب, صفحة: مؤمنون بلا حدود.

٣٩- القر'ن والملحدون, محمد عزة دروزة, المكتب الإسلامي, دمشق, ط١, ١٩٧٣م.

٤٠- القاموس المحيط, محمد بن يعقوب الفيروزآبادي, دون بيانات أخرى.

٤١- كبرى اليقينيات الكونية, للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي, دار الفكر المعاصر, بيروت, لبنان, ط٨, ١٩٨٢م.

٤٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل, العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى, دار الكتاب العربي, بيروت, ط ١٤٠٧ هـ .

٤٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال, علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري, تحقيق بكري حياني, صفوة السقا, ,ط مؤسسة الرسالة, بيروت, ط٥, ١٩٨١م.

٤٤- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة, د/ عبد الرحمن حبنكة الميداني, ط دار القلم, دمشق, ط٢, ١٩٩٢م .

٤٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي, ,دار الفكر، بيروت, ١٤١٢هـ .

٤٦- المحرر الوجيز, الإمام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي, نسخة إلكترونية, الشاملة.

٤٧- مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، أو مقال في الإنسان، أرنست كاسيرر، ترجمة د/إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦١.

٤٨- مرآة الإسلام, د/ طه حسين, ط دار المعارف, مصر, ١٩٥٩م, ونسخة أخرى بتقديم د/ محمد عمارة, هدية مجلة الأزهر, عدد صفر, ١٤٤٠هـ- أكتوبر ٢٠١٨م .

٤٩- مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة, عبد الله بن أسعد اليافعي, تحقيق: محمود محمد نصار, دار الجيل , بيروت, ط١, ١٩٩٢م.

٥٠- المسند, الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني, مؤسسة قرطبة, القاهرة .

٥١- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية, العلامة ابن حجر العسقلاني, دار العاصمة ، دار الغيث, السعودية, ط١, ١٤١٩هـ.

٥٢- المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وآخرون, مجمع اللغة العربية, بدون تاريخ.

٥٣- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير, للإمام محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى, دار إحياء التراث العربى, بيروت, بدون تاريخ .

٥٤- الملل والنحل للشهرستاني, تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود, ط دار المعرفة, بيروت, ط٣, ١٩٩٣م.

٥٥- من الأدب الثمثيلي اليوناني: سوفوكليس, ترجمة د/ طه حسين, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة, ١٩٣٩م.

٥٦- المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي, دار ابن خلدون للنشر والتوزيع, الإسكندرية, بدون تاريخ.

٥٧- منهج مرسيا إلياد في دراسة الأديان دراسة تحليلية, أحمد رضا, رسالة ماجستير بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة .

٥٨- ميزان العمل, للإمام أبي حامد الغزالي, تحقيق: د/ سليمان دنيا, ط١, دار المعارف, مصر, بدون تاريخ.

٥٩- نظرية المعرفة, د/ زكي نجيب محمود, نشر مؤسسة هنداوي, ٢٠١٧م .

٦٠- نظرية المعرفة بين القر'ن والفلسفة, د/ راجح عبد الحميد الكردي, مكتبة المؤيد, الرياض, ط١, ١٩٩٢م .

٦١- نقد الفكر الديني, د/ صادق جلال العظم, ط دار الطليعة, بيروت, ط٢, ١٩٧٠م. ٦٢- نفص أوهام المادية الجدلية, د/ محمد سعيد رمضان البوطي, ط دار الفكر, دمشق, سوريا, ط٣, ١٩٨٥م.

٦٣- النكت والعيون (تفسير الماوردى), أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري, تحقيق: سيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, بدون تاريخ .

٦٤- هوامش على كتاب نقد الفكر الديني, الشيخ محمد حسن أل ياسين, دار الأنوار للمطبوعات, بغداد, ط٥, ١٩٧٨م.

فهرس المحتويات

المحتويات

ملخص البحث ١٠٥
المقدمة ١٠٨
التمهيد ١١١
المبحث الأول : ١١٦
ادعاء العظم أسطورية شخصية إبليس ونقده ١١٦
المطلب الأول: دعوى أسطورية شخصية إبليس ١١٨
المطلب الثاني: نقد دعوى الأسطورة في شخصية إبليس ١١٩
المبحث الثاني: ١٢٩
محنة إبليس في فكر د/ العظم ونقدها ١٢٩
المطلب الأول: ملامح المحنة عند د/ العظم ١٢٩
المطلب الثاني: نقد ملامح محنة إبليس عند العظم ١٣٧
المبحث الثالث: ١٥٤
تطاول العظم على الذات الإلهية ونقده ١٥٤
المطلب الأول: تساؤلات العظم وتطاوله على الذات الإلهية ١٥٤
المطلب الثاني: نقد تطاول العظم على الذات الإلهية. ١٥٨
الخاتمة ١٧١
قائمة المصادر والمراجع ١٧٣
فهرس المحتويات ١٨٤